مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (٦)، العدد (٢)، ص ص ٦١٩-٦٨١، (رجب ١٤٣٤هـ/مايو ٢٠١٣م)

تهذيب كتاب مناهل العرفان للزرقاني
(المبحث الأول والثاني نموذجًا)

د. خالد بن عثمان السبت
جامعة الدمام، كلية التربية، قسم الدراسات القرآنية

قدم للنشر في ١٤٣٣/٦/٧هـ وقبل للنشر في ١٤٣٣/١٢/٢٦هـ)

ملخص البحث. تبين لنا من خلال هذا البحث ما تميز به كتاب (مناهل العرفان) على غيره من المؤلفات في هذا الشأن، كما تبين معنى (علوم القرآن)، وموضوعه، وفائدته، وأهميته، وغايته.

وقد تعرفنا – أيضًا – على الأطوار والمراحل التي مرَّ بها هذا العلم منذ العهد النبوي، ومرورًا بعهد الخلفاء الراشدين، وما بعد ذلك إلى نهاية القرن الأول الهجري، وما لقيه القرآن وعلومه من عناية بالغة تليق بمكانته، وأن الكتابة في بعض الموضوعات المتعلقة بالقرآن الكريم قد بدأت منذ وقت مبكر – في القرن الأول الهجري – خلافًا لما هو مشهور لدى كثير من الكاتبين في هذا الباب.

ثم اتسعت دائرة الكتابة في ذلك في القرن الثاني الهجري، ثم تشعبت وازدادت في القرن الثالث الهجري فما بعده.

وقد ظهرت في القرن الرابع الهجري مؤلفات تحمل مسمى (علوم القرآن)، وإن لم تكن تحوي في مضمونها ما نحن بصدد الكتابة عنه.

بعد ذلك تتابع العلماء في التأليف والكتابة، ووُجِدَت مؤلفات كثيرة ومتنوعة في علوم القرآن، منها ما هو مختصر، ومنها ما هو مُوَسَّع، ومنها ما هو بين ذلك.

وقد اختلفت أنظار العلماء في أول من وضع مُؤَلَّفًا في هذا الفن، ولكن من الصعب أن نجزم لأحد بعينه أنه صاحب أَوَّلِيَّة مُطْلَقة في ذلك؛ لأننا لم نُحِط بكل ما أُلِّف، لكن غاية ما هنالك أن يُقال: أول ما وقفنا عليه من المؤلفات كذا. والله تعالى أعلم.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الكتب المؤلفة في علوم القرآن كثيرة جدًّا، وعلى هذه الكثرة إلا أن المتخصص كثيرًا ما يتردد حينما يُوَجَّه له السؤال المعهود: عن الكتاب المُرَشَّح للدراسة الذي يجمع بين قوة المادة العلمية، وسلامتها من الدخيل مع حُسْن العَرض وجَودة الصياغة والأسلوب؛ وذلك أن عامة الكتب المُؤَلَّفة في هذا الباب لا تكاد تخلو من ملحوظات تُعكِّر صَفْوها، وقد لا يتفطن لها كثير من القراء خاصة إذا كان ذلك مما يتعلق بالاعتقاد، فكان من المتعين إخراج مُؤَلَّف يجمع بين تحرير المادة العلمية، مع حُسن الصياغة والعرض بحيث يتناسب مع ما أَلِفَه القارئ في العصر الحديث من ناحية أسلوب الكتابة، مع الاقتصار على الموضوعات التي تُعد من صُلب علوم القرآن وتتصل به اتصالاً مباشرًا، دون التطويل بالكلام على موضوعات أخرى تتصل بأصول الفقه، أو اللغة العربية من بلاغة أو غيرها.

وقد رأيت منذ مدة طويلة أن ذلك يمكن أن يتحقق بتهذيب مادة هذا الكتاب - مناهل العرفان - ولكن ضيق الوقت كان يحول دون تحقيق هذا المطلب.

نبذة عن كتاب (مناهل العرفان)

المؤلف: الشيخ محمد بن عبدالعظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧ هـ).

- **حجم الكتاب**: مطبوع في مجلدين.
- **طبعات الكتاب**: طُبع مرات كثيرة وتُرجم إلى لغات متعددة في حياة المؤلف.

• **عدد المباحث التي شرحها**: سبعة عشر مبحثًا. وهي من أهم الموضوعات المتعلقة بعلوم القرآن الكريم، وذات الصلة المباشرة به.

مميزاته

يمكننا أن نُلَخِّص أهم مميزات هذا الكتاب بما يلي:

١ - أن جميع مباحثه تُعتبر مُهمة وضرورية لطالب هذا العلم، بل إنها أهم مباحث هذا العلم.

٢ - أن مُؤَلِّفه اطلع على كتب كثيرة، منها المتقدم ومنها المتأخر، فجاء كتابه هذا مكتبة واسعة تضم الفوائد والتحقيقات المستمدة من سائر التخصصات العلمية.

٣ - جمع مُؤَلِّفه في تأليفه بين التحقيق العلمي، والأسلوب العصري، فكان تناول الكتاب أمرًا ميسورًا على غير المتخصصين، كما أن المتخصصين يجدون فيه بُغْيَتهم.

٤ - ظهر في هذا الكتاب عدة مباحث لم يتطرق إليها قبله الزركشي ولا السيوطي في كتابيهما.

٥ - سَطَّرت صفحات هذا الكتاب يدُ عالم بما يكتب، له شخصيته وأسلوبه المتميز.

٦ - كانت السِّمة الأدبية ظاهرة في أسلوب كَاتِبِه في جميع المباحث، مما يُمتع القارئ له من ناحية، ثم يُكْسِبه الذوق الأدبي من ناحية أخرى.

٧ - تجد في هذا الكتاب الربط المستمر بين الدين والمعارف الأخرى، بالإضافة إلى محاولة بيان أسرار التشريع وحِكَمه.

٨ - لم يُتابِع المؤلفُ في تأليفه هذا الكتاب أساليب من سبقه في كثرة التنويع لعلوم القرآن، بل دمج الأنواع المتشابهة في بعض، وجعلها تحت مبحث واحد.

وبناءً على ذلك كله اعتُبِر هذا المُؤلَّف من المراجع الأساسية في موضوع علوم القرآن، ولذا حظي بشهرة واسعة، حتى أضحى من أكثر كتب الفن ذيوعًا وتداولاً.

طريقة التهذيب المُتَّبَعَة في هذا الكتاب

١ - حَذَفْتُ ما فيه خلل من ناحية الاعتقاد، وما يُحتاج إلى التطرق فيه إلى جانب العقيدة يُقرر على عقيدة أهل السنة والجماعة.

٢ - حَذَفْتُ ما عليه مأخذ من الناحية العلمية، وأعدت تقرير ذلك بطريقة علمية مُحَرَّرة. وهذا والذي قبله يتطلب تقريرات في ثنايا الكتاب كما لا يخفى، وذلك يتفاوت كثرة وقلة بحسب المبحث، فقد يكون يسيرًا، وقد تكون الحاجة داعية إلى إعادة الكتابة في أغلب مسائل المبحث كما في الأبحاث الثلاثة الأولى من الأصل.

٣ - حَذَفْتُ الأحاديث والمرويات الضعيفة، واستعضت عنها بالمرويات الصحيحة إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

٤ - حَذَفْتُ الاستطرادات مع اختصار الكلام الطويل في بعض المواضع حسب الحاجة.

٥ - أورد المؤلف – رحمه الله – عقب كل مبحث مجموعة من الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام وغيرهم، حتى قارب مجموع ذلك مائة شبهة، مع أن كثيرًا من هذه الشبهات أثارها المستشرقون ولم يَعُد يَسمع بها الناسُ اليوم، فَذِكْرها إحياء لها، مع أن منهج عرض الشُّبه هكذا ثم محاولة الإجابة عنها لا يخلو من إشكالات لما يُؤَثِّره ذلك من مفاسد متعددة؛ ولذا حَذَفتُ تلك الشبهات، وما يُحتاج إلى معرفته والجواب عنه أوردته في ثنايا الكتاب بطريقة لا تثير في نفس القارئ شيئًا من أثر الشُّبهة السيئ. وربما انتقيتُ من بعض أجوبته ما تدعو الحاجة إلى معرفته وألحقته بموضعه المناسب من المبحث الذي يتصل به، مع الإشارة إلى ذلك في الهامش.

٦ - إضافة ما تدعو الحاجة إليه مما قد يُورِدُه المؤلف بطريقة مُبْتَسَرَة.

٧ - مَيَّزْتُ كل ما أضفتُه على الكتاب حيث جعلته بين معقوفين.

٨ - دمجتُ بين المبحث الأول والثاني وجعلتهما في مبحث واحد؛ لأن ذلك جميعًا يدخل تحت المقدمات.

المنهج العلمي المُتَّبَع في هذا الكتاب

١ - اقتصرتُ على الأحاديث الصحيحة دون غيرها.

٢ - عَزَوتُ الآيات القرآنية بعد ذِكْرِها مباشرة في صُلب الكتاب، كي لا تكثر الهوامش.

٣ - خَرَّجْتُ الأحاديث والآثار في الهامش. وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك.

٤ - عزوتُ الشواهد الشعرية.

٥ - فسَّرتُ الكلمات الغامضة.

٦ - ضبطتُ من الكلمات ما يحتاج إلى ضبط بالشكل.

٧ - ترجمتُ للأعلام غير المشاهير؛ وذلك باعتبار أن الأعلام من حيث الشهرة وعدمها على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: من ذاعت شهرته، وعُرف عند الخاصة والعامة؛ كالخلفاء الأربعة، وأبي هريرة عبدالرحمن بن صخر (ت٥٧هـ)، والأئمة الأربعة، ومحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، وشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) وأمثال هؤلاء.

المرتبة الثانية: من عُرف بين طلبة العلم على مختلف تخصصاتهم. كمحيي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ)، والحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، وجلال الدين

السيوطي (ت ٩١١هـ)، ومحمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)... ومن كان على شاكلتهم في هذا الجانب.

المرتبة الثالثة: من كان معروفًا لدى أهل الاختصاص. كـ"عبدالرحمن بن زنجلة"[١] عند أهل القراءات، و"محيي الدين الكافِيَجي (ت ٨٧٩هـ)"[٢] عند أهل اللغة وبعض الفنون.

المرتبة الرابعة: من لا شهرة له أصلاً. مثل: "ابن ناقيا البغدادي (ت ٤٨٥هـ)"[٣].

وتبقى المسألة مع ذلك نسبية، للأنظار فيها مجال.

ولما كان هذا الكتاب الذي بين يديك قد وُضع لعموم طلبة العلم، سواء أكانوا من المتخصصين في التفسير والعلوم المتعلقة به، أم كانوا من ذوي التخصصات الأخرى – لم يكن ثَمَّة حاجة لترجمة أصحاب المرتبتين الأولى والثانية. وإنما يُقتصر على ترجمة أصحاب المرتبتين الثالثة والرابعة.

وحرصًا على عدم تطويل الكتاب فإني أذكر الترجمة مختصرة. مع الإحالة إلى موضعها لمن أراد الاستزادة.

٨ - تم توثيق المادة العلمية لهذا الكتاب، بالرجوع إلى المصادر الأصلية ما أمكن.

---

(١) هو: أبو زرعة، عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة. عاش في المائة الرابعة للهجرة. له كتاب: حجة القراءات. ولا توجد له ترجمة في الكتب التي بين أيدينا، كما لا يعرف تاريخ وفاته.

(٢) محيي الدين، أبو عبدالله، محمد بن سليمان بن سعد الرومي الحنفي الكافِيَجي، لُقِّبَ بذلك لكثرة اشتغاله بكتاب الكافية في النحو. وُلِدَ سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، وتوفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة. شذرات الذهب: (٣٢٦/٧).

(٣) عبدالباقي، وقيل: عبدالله بن محمد بن ناقيا الشاعر. مُتَّهَم بالزندقة: (توفي سنة خمس وثمانين وأربعمائة). ميزان الاعتدال: (٥٣٣/٢)، لسان الميزان: (٣٨٤/٣).

٩ - راجعتُ النقول التي يُورِدُها المؤلف على أصولها، وصَوَّبْتُ ما وقع في ذلك من الأخطاء، وكَمَّلتُ ما كان من سقط، فإن كان الكلام منقولاً مع التصرف أو الاختصار فإني أُنَبِّه إلى ذلك.

والله أسأل التيسير والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❖ **تنبيه**: منهج التهذيب للكتب يقبل الاختصار مع الإضافة في آن واحد(٤)؛ لأن التهذيب إنما يُنسَبُ لمن قام به، ولدينا نماذج من كتب التراث مما هَذَّبَه العلماء فزادوا فيه ونقصوا(٥).

---

(٤) قال الكفوي في الكليات ص ٣٠٨: " التهذيب: هو عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله والشروع في تنقيحه نظمًا كان أو نثرًا، وتغيير ما يجب تغييره، وحذف ما ينبغي حذفه، وإصلاح ما يتعين إصلاحه، وكشفُ ما يُشْكِل من غريبه وإعرابه، وتحرير ما يدق من معانيه، واطراح ما تجافى عن مضاجع الرِّقَّة من غليظ ألفاظه لتُشْرِق شموس الهدى في سماء البلاغة " ا.هـ. وانظر على سبيل المثال في كتب اللغة: اللسان، وتاج العروس عند كلامهما على مادة (التهذيب).

(٥) ومن أمثلة ذلك:

١- أبو محمد، عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ) حيث اختصر سيرة ابن إسحاق (ت ١٥٠ هـ) وزاد عليها. انظر في ذلك: سيرة ابن هشام (مقدمة التحقيق ١/ ١١، ١٢) ومن أصل الكتاب (٤/١)، تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون ص ١٠ - ١١.

وهكذا صنيع بعض من جاء بعد ابن هشام في كتابه هذا، فمن ذلك:

- برهان الدين المرَحِّل (ت ٧٣٨ هـ)، فقد اختصر سيرة ابن هشام وزاد عليه في كتابه (الذخيرة في مختصر السيرة). انظر: مقدمة التحقيق لسيرة ابن هشام (١٣/١)، تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون ص١٢.

٢- محمد بن عبدالله بن أبي زمنين (ت ٣٩٩ هـ) فقد اختصر تفسير يحيى بن سلَّام (ت ٢٠٠ هـ)، وزاد عليه ما لم يفسره يحيى، وأضاف أشياء كثيرة من الإعراب واللغة، مع تمييز زياداته عن كلام ابن سلَّام كما صرح بذلك في مقدمته على كتابه الذي سماه (تفسير كتاب الله العزيز)، (١١١/١).

= وقد سبق إلى اختصار هذا الكتاب: هُود بن مُحَكَّم الهُوَّارِي، المتوفى في حدود سنة (٢٨٠ هـ) في كتابه (تفسير كتاب الله العزيز)، وإنما ذكرته تبعًا لما قبله؛ لأن عامة زياداته على أصل الكتاب إنما كانت نُصرة لمذهبه الأَبَاضِي، وذلك غير محمود من صنيعه. انظر مقدمة التحقيق (١/١٩ — ٣٧).

٣- عبدالرحمن ابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ) فقد اختصر كتاب الإحياء للغزالي (ت ٥٠٥ هـ) في كتابه (منهاج القاصدين ومفيد الصادقين) وذكر في مقدمته أن سيكتب كتابًا يخلو عن مفاسده، ولا يُخِل بفوائده ، يعتمد فيه من النقول على الأصح والأشهر، ومن المعنى الأثبت والأجود، وأنه يحذف ما يصلح حذفه، ويزيد ما يصلح أن يُزَاد. (منهاج القاصدين (١/٧). وقد زاد على الأصل بأبواب وفصول متعددة، إضافة إلى أحاديث وآثار وقصص زائدة على ما ذكره الغزالي في الإحياء. انظر: مقدمة تحقيق منهاج القاصدين (١/١٢-١٤). ثم جاء بعده نجم الدين ابن قدامة المقدسي (المتوفى في حدود سنة ٦٨٨ هـ) فاختصر كتاب ابن الجوزي، وقال: "ولم ألتزم فيه بالمحافظة على ترتيبه وذِكْر ألفاظه بعينها، بل ذكرت بعضها بالمعنى قصدًا للاختصار، وربما ذكرت فيه حديثًا أو شيئًا يسيرًا من غيره إن كان مناسبًا له " ا. هـ من مقدمته ص ١٠.

٤- عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) حيث هذب كتاب الأنساب للسمعاني (ت ٥٦٢ هـ) فاختصر الكتاب، ونبه على بعض الأوهام، وزاد عليه. كما صرح بذلك في مقدمته لكتابه (اللباب في تهذيب الأنساب).

٥- جمال الدين المِزّي (ت ٧٤٢ هـ) حيث نظر في كتاب الكمال في أسماء الرجال لعبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠ هـ) فبنى عليه كتابه المشهور (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) فحذف منه، وزاد عليه في المصادر والتراجم حتى بلغ ما زاده على الأصل أكثر من (١٧٠٠) ترجمة، إلى غير ذلك من الزيادات والتصرفات التي جعلت كتابه ثلاثة أضعاف الأصل. وللاستزادة ينظر مقدمة التحقيق لكتاب (تهذيب الكمال ١/٤١ — ٤٩)، ومقدمة المؤلف (١/١٤٨).

وقد سبقه إلى تهذيب كتاب الكمال واختصاره مع بعض الاستدراكات والإضافات- أحد أولاد الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله، كما أشار إلى ذلك المزي في مقدمة التهذيب (١/١٤٨).

وهكذا فقد حظي كتاب تهذيب الكمال بعناية فائقة لدى العلماء، وصنفوا الكتب في تهذيبه وتقريبه، فمن ذلك:

- رافع السَّلَّامي (ت ٧١٨ هـ) في كتابه (الكنى المختصر من تهذيب الكمال في أسماء الرجال)، حيث اختصر فيه القسم الأخير من (تهذيب الكمال) الخاص بالكنى، ورتبه على حروف المعجم وزاد عليه ونقص. ينظر: مقدمة التحقيق لكتاب تهذيب الكمال (١/٥١ — ٥٢).

المبحث الأول[٦]: في ذكر بعض المقدمات الضرورية المتعلقة بهذا الفن.

المقدمة الأولى: في تعريف (علوم القرآن).

المقدمة الثانية: موضوع هذا العلم وفائدته وأهميته وغايته.

المقدمة الثالثة: نشأته وتطوره والمراحل التي مر بها.

المقدمة الرابعة: الكلام على أول ما أُلِّف في هذا الفن (حسب الاصطلاح المتأخر).

- شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) في كتابه (تذهيب التهذيب)، فقد أضاف إلى هذا المختصر ما رآه حريًّا بالإضافة، وعلق على كثير من تراجم الأصل. يُنظر مقدمة التحقيق لكتاب تهذيب الكمال (١/٥٣).

وقد جاء في القرن العاشر الحافظ صفي الدين الخزرجي الأنصاري فاختصر كتاب الذهبي (التذهيب) وزاد فيه زيادات متنوعة كما في مقدمة المؤلف (الخلاصة ١/٣)، وانظر مقدمة المحقق (١/١٢).

- شمس الدين الحسيني (ت ٧٧٥ هـ) فقد اختصر كتاب المزي وزاد عليه رجال أربعة كتب، وسماه (التذكرة في رجال العشرة). انظر: مقدمة التحقيق لكتاب تهذيب الكمال (١/٦٣).

- الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) في كتابه المعروف (تهذيب التهذيب) الذي اختصر فيه تهذيب الكمال للمزي إلى نحو الثلث وزاد عليه زيادات متنوعة. يُنظر: تهذيب الكمال (مقدمة التحقيق) (١/٦٦ – ٧٠ ، ٧١)، تهذيب التهذيب (مقدمة التحقيق) (١/١٤)، ومقدمة المؤلف (١/ ٣ – ٥).

- تقي الدين ابن فهد (ت٨٧١ هـ) في كتابه (نهاية التقريب، وتكميل التهذيب بالتذهيب) الذي جمع فيه بين المزي وزيادات ابن حجر في التهذيب مع زيادات زادها. انظر: تهذيب الكمال (مقدمة التحقيق) (١/٧٠).

٦- ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) في كتابه (لسان الميزان) الذي بناه على كتاب (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) حيث حذف منه رجال الكتب الستة، وزاد على أصل الكتاب زيادات كثيرة من التراجم المستقلة وغيرها. انظر: مقدمة لسان الميزان (١/٤).

والأمثلة على ذلك كثيرة،والاسترسال في ذكرها يطول به الكتاب، وللاستزادة ينظر على سبيل المثال: كتاب (تهذيب مستمر الأوهام على ذوي المعرفة وأولي الأفهام) لابن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ) (مقدمة المؤلف). وكتاب: (تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية) لمحمد بن حسين المكي، وغير ذلك.

(٦) تنبيه: هذا المبحث في الكتاب الأصل يقع في مبحثين (الأول، والثاني) وقد رأيت أن من الأحسن دمجهما في مبحث واحد.

مقدمة

القرآن الكريم: كتاب ختم الله به الكتب، وأنزله على نبي ختم به الأنبياء، بدين عام خالد ختم به الأديان.

فهو دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، أنهى إليه مُنزِلُه كلَّ تشريع، وأودعه كل نهضة، وناط به كل سعادة.

وهو حجة الرسول وآيته الكبرى: يقوم في فم الدنيا شاهدًا برسالته، ناطقًا بنبوته، دليلاً على صدقه وأمانته.

وهُو ملاذُ الدين الأعلى: يستند الإسلامُ إليه في عقائده وعباداته، وحِكمه وأحكامه، وآدابه وأخلاقه، وقصصه ومواعظه، وعلومه ومعارفه!.

وهو عماد لغة العرب الأسمى: تدين له اللغة في بقائها وسلامتها، وتستمدُّ علومَها منه على تنوعها وكثرتها، وتفوق سائر اللغات العالمية به في أساليبها ومادَّتها.

وهو – أولاً وآخرًا – القوَّة المحوِّلة التي غيَّرت صورة العالم، ونقلت حدود الممالك، وحوَّلت مجرى التاريخ، وأنقذت الإنسانية العاثرة. فكأنما... [صاغت العالم صياغة جديدة].

لذلك كله، كان القرآن الكريم موضعَ العناية الكبرى من الرسول ﷺ وصحابته، ومن سلف الأمة وخَلَفِها جميعًا إلى يوم الناس هذا.

وقد اتخذت هذه العناية أشكالاً مختلفة، فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثة إلى كتابته ورسمه، ورابعة إلى تفسيره وشرحه، إلى غير ذلك.

ولقد أفرد العلماء كلّ ناحية من هذه النواحي بالبحث والتأليف، ووضعوا من أجلها العلوم ودونوا الكتب، وتباروا في هذا الميدان الواسع أشواطًا بعيدة، حتى

زَخَرت المكتبةُ الإسلامية بتراث مجيد من آثار سلفنا الصالح، وعلمائنا الأعلام. وكانت هذه الثروة ولا تزال مفخرة نتحدى بها أمم الأرض، ونُفحم بها أهل الملل والنِّحل في كل عصر ومِصر!.

وهكذا أصبح بين أيدينا الآن مصنفات متنوعة، ومَوْسوعات قيمة، فيما نسميه علم القراءات، وعلم التجويد، وعلم النسخ العثماني، وعلم التفسير، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم غريب القرآن، وعلم إعجاز القرآن، وعلم إعراب القرآن، وما شاكل ذلك من العلوم الدينية والعربية، مما يعتبر بحقّ أروع مظهر عرفه التاريخ لحراسة كتاب هو سيد الكتب، وبات هذا المظهر معجزة جديدة مُصَدِّقَة لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر: ٩].

ولقد أنجبت تلك العلومُ الآنفة وليدًا جديدًا، هو مزيج منها جميعًا، وسليل لها جميعًا، فيه مقاصدها وأغراضها، وخصائصها وأسرارها، "والولد سرُّ أبيه".

وقد أسمَوه "علوم القرآن" وهو موضوع دراستنا في هذا الكتاب إن شاء الله.

المقدمة الأولى: في تعريف (علوم القرآن)

لكي نصل إلى المعنى المُراد من (علوم القرآن) لا بد لنا من أن نُحلِّل أجزاء هذا المُركَّب، ونُعرِّف كل جزء من أجزائه فنقول:

العلوم: جمع علم، **والعلم في اللغة**: ضد الجهل. قال أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ): "العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره"[(٧)] ا.هـ.

وفي الاصطلاح: عرفه بعضهم بأنه الاعتقاد الجازم الثابت المُطَابِق للواقع.

وعَرَّفه آخرون بأنه: صفة تُوجِب تمييزًا لا يحتمل النقيض.

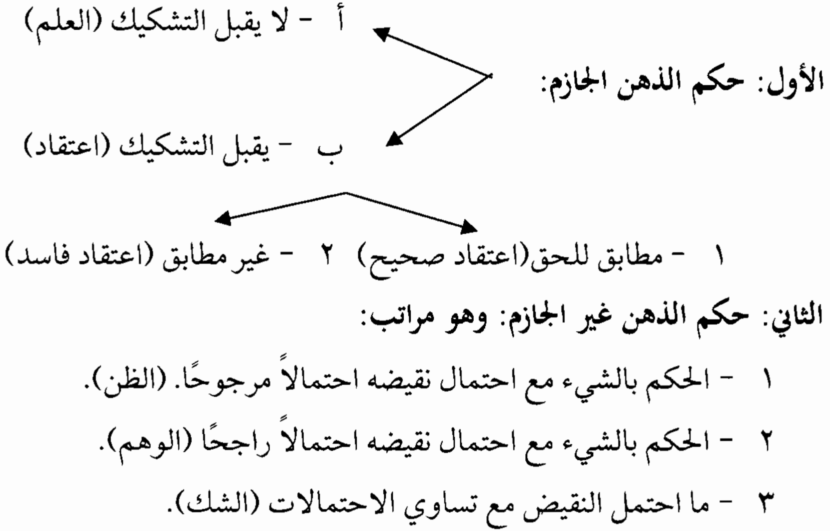
---

(٧) المقاييس (مادة/ علم) (ص ٦٨٩)، وانظر المجمل: (مادة: علم) (ص ٤٨٠).

وقيل: هو إدراك الشيء بحقيقته. وذهب طائفة إلى أنه لا يُحد[٨].

قلت: هذه التعريفات الثلاثة متقاربة، وفي الثاني منها قصور من جهة كونه يصدق على ما قد يقع من تصور للأمور والأشياء على غير حقائقها مع الجزم بذلك.

ومما ينبغي أن يُعلم أن تلك التعريفات منطقية اصطلاحية وهي مبنية على التقسيم المعروف للحُكْم من حيث كونه جازمًا أو غير جازم، وذلك على النحو الآتي:



الثاني: حكم الذهن غير الجازم: وهو مراتب:

١ - الحكم بالشيء مع احتمال نقيضه احتمالاً مرجوحًا. (الظن).

٢ - الحكم بالشيء مع احتمال نقيضه احتمالاً راجحًا (الوهم).

٣ - ما احتمل النقيض مع تساوي الاحتمالات (الشك).

---

(٨) انظر معانيه وإطلاقاته في تاج العروس (مادة: علم) (٨/٤٠٥)، المفردات (مادة: علم) (٣٤٣)، شرح الكوكب المنير (١/ ٦٠ – ٦٧)، التعريفات (٢٠٠)، الكليات (٣/٢٠٤ – ٢١٣)،(٤/٢١٩ – ٢٢٠ ، ٢٩٦)، كشاف اصطلاحات الفنون (٢/١٠٥٥ – ١٠٦٠).

وفي هذا المعنى يقول في المراقي:

جَـازِمُه دون تغَيُّر عُلِم عِلْمـًا وغيره اعتقادٌ ينقسم

إلى صحيح إن يكن يُطـابِق أو فـاسد إن هو لا يُطابِق

والوهمُ والظنُّ وشَكٌّ ما احتمل لراجح أو ضده أو ما اعتدل(٩).

أما إذا نظرنا إلى العلم باعتبار أنه يُقَابِل الجهل بنوعيه: البسيط والمُركَّب؛ فلا ريب أن العلم يشمل ما هو أوسع من كونه مُنْحَصِرًا في النوع الأول - وهو حُكْم الذهن الجازم الذي لا يقبل التشكيك - بل يشمل الظن المشار إليه فيما سبق؛ وذلك أن العمل بالظن الغالب مُعْتَبر شرعًا، (١٠) وإليه ترجع كثير من المسائل الاجتهادية.

القرآن في اللغة: (١١) اختُلف فيه هل مهموز، أو غير مهموز؟، على قولين:

القول الأول: أنه غير مهموز، وبه يقرأ عبدالله بن كثير المكي (ت ١٢٠هـ)، وهو قول محمد ابن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ).(١٢)

---

(٩) نثر الورود شرح مراقي السعود (٤٨/١).

(١٠) في الظن والعمل به راجع: مجموع الفتاوى (١٣/١١٠ - ١٢٥)، (٢٠ / ٢٦٠ - ٢٦١، ٢٨٦)، الاستقامة (١/٥١ - ٥٦)، مختصر الصواعق ص ٤٨٩، العذب النمير (٢/٤٣١ - ٤٣٤).

(١١) انظر: تفسير ابن جرير (١/٩٤ - ٩٧)، معاني القرآن للزجاج (١/٣٠٢)، تهذيب اللغة (باب القاف والراء: ق، ر (و.ا.ي.ء)، (٩/٢٠٦ - ٢١٢)، الصحاح (مادة: قرأ)، (١/ ٦٤ - ٦٥)، المقاييس في اللغة (مادة: قري) ص ٨٨٣ - ٨٨٤، المفردات (مادة: قرأ)،(ص ٤٠٢)، (٣ / ١٧٦ - ١٧٧)، نزهة الأعين النواظر (باب: القرية)، (١/ ٤٩٩ - ٥٠٠)، النهاية في غريب الحديث (مادة: قرأ)، (٤ / ٣٠ - ٣٢)، تفسير القرطبي (٣/ ١١٣ - ١١٥).

(١٢) قال الشافعي رحمه الله: "وقرأت على إسماعيل بن قسطنطين، كان يقول: القرآن اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ مِنْ (قَرَأتُ)،ولو أُخذ مِن (قَرَأْتُ) لكان كل ما قُرئ قرآنًا،ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل. يُهمز (قرأت) ولا يُهمز القرآن... " ا.هـ. تهذيب اللغة (٩ / ٢٠٩)، تاريخ بغداد (٢/ ٦٢).

- وقال إسماعيل: قرأت على شبل، وقرأ شبل على عبدالله بن كثير، وأخبر عبدالله بن كثير أنه قرأ على مجاهد، وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس، وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أُبي، وقرأ أُبي على النبي ﷺ.

القول الثاني: أنه مهموز، وعليه الأكثر.

ثم اختلف فيه أهل العلم من جهة الاشتقاق وعدمه، على قولين أيضًا:

القول الأول: أنه عَلَم على كتاب الله تعالى، مثل التوراة والإنجيل، وهو قول الشافعي.

القول الثاني: أنه مُشْتَق لكن اختلف أصحاب هذا القول في الأصل الذي اشتُق منه على أقوال متعددة.

فالقائلون بأنه غير مهموز لكنه مُشْتَق، منهم من ذهب إلى أنه مأخوذ من قَرَنْتُ الشيء بالشيء إذا ضَمَمتَ أحدهما إلى الآخر. وسُمي القرآن بذلك لاقتران سوره وآياته وحروفه، فهو مُشْتَق من (قَرَنَ)، والاسم (قُرَان) غير مهموز، ومن هذا يقال للجمع بين الحج والعمرة (قِرَان).

وذهب يحيى الفراء (ت ٢٠٧هـ) إلى أنه مأخوذ من (القَرَائِن)؛ وذلك أن الآيات يُصَدِّق بعضها بعضًا، ويُشابه بعضها بعضًا، فهي قرائن.

وكما أن الخلاف وقع بين هؤلاء في مادة اشتقاقه، فقد وقع مثل ذلك أيضًا للقائلين بأنه مهموز.

فقالت طائفة: إنه مصدر من القراءة[١٣]. قال أبو الحسن اللحياني[١٤]: "يقال: قرأتُ القرآن، فأنا أقرؤه قراءة، وقَرْءا، وقُرآنًا. وهو الاسم" ا.هـ.

- وقال أبو بكر بن مجاهد المقرئ: كان أبو عمرو بن العلاء لا يهمز القرآن، وكان يقرؤه كما روي عن ابن كثير. (تهذيب اللغة (٩/٢٠٩).

(١٣) واختاره ابن جرير (٩٤/١ – ٩٥) وعزاه لابن عباس والضحاك. وانظر ذلك أيضًا عند تفسير الآية (١٨) من سورة القيامة.

(١٤) علي بن المبارك اللحياني. (غلام الكسائي) وقد أخذ عنه، كما تتلمذ عليه أبو عبيد القاسم بن سلام، له كتاب النوادر. الفهرست (٥٤/١)، معجم المؤلفين (٧ / ١٧٤).

قالوا: وهو من المصادر كالرُّجْحَان والكُفْران والغُفْران، سُمِّي به الكتاب المقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر، والألف واللام الداخلة عليه لِلَمْح الأصل.

وفي شعر حسان بن ثابت (ت٥٤هـ) يمدح عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ) رضي الله عنهما: (١٥)

ضَحَّوا بأشْمَطَ عُنْوانُ السُّجود به يُقَطِّعُ الليلَ تسبيحًا وقُرآنًا

ثم إن المقروء يُسمَّى قُرآنًا أيضًا؛ لأن المفعول يُسمَّى بالمصدر، كما قالوا للمشروب: شَرَاب، وللمكتوب: كِتَاب.

فهو على هذا] مصدر مُرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧ – ١٨]، ثم نُقل من هذا المعنى المصدري وجُعل اسما للكلام المُعجز المنزل على النبي ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله.

] وذهب آخرون إلى أنه مُشْتَق من (قرأ).

وبعضهم يقول: هو وَصْفٌ على (فُعْلَان) مُشْتق من القُرْء.

وكما اختلفوا في مادة اشتقاقه فإنهم قد اختلفوا – أيضًا – في المعنى الذي ترجع إليه مادته الأصلية التي اشتُق منها على النحو الآتي:

١ - الذين قالوا: إنه مُشْتق من (القراءة)، أو من (قرأ) قد اختلفوا في المعنى الذي ترجع إليه هذه اللفظة على قولين:

القول الأول: أن المعنى الذي تدور عليه هذه اللفظة هو الجمع، وكل شيء جَمَعْتَه فقد قَرَأْتَه.

(١٥) ديوان حسان بن ثابت ص ٢٤٤.

قالوا: ومنه قولهم: ما قَرَأَتْ هذه الناقةُ سلًى[١٦] قط.

إذا لم يَضْطَم رحمها على ولد. وقول الشاعر: [١٧]

ذِرَاعَي عَيْطَل أدْمَاءَ بِكْرٍ هِجَانِ اللَّونِ لم تَقْرَأ جَنينا

قالوا: أي: لم تضم وتجمع جنينًا في بطنها.

وعليه فالقرآن عندهم مصدر من قولك: قرأتُ الشيء، إذا جمعتَه وضممتَ بعضه إلى بعض. وبهذا قال قتادة السَّدُوسِي (ت ١١٧هـ، وقيل: ١١٨هـ)[١٨] ومن وافقه.

وبناء على ذلك فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن القرآن إنما سُمِّي بذلك لأنه يجمع السور فيضمها. وقيل: لكونه جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد. أو لأنه جامعٌ لثمرة كُتب الله المنزلة. أو لجمعه ثمرة جميع العلوم.

ولا منافاة بين هذه الأمور – على هذا القول – فكلها صحيح وثابت. والله أعلم.

القول الثاني: أن هذه اللفظة ترجع إلى معنى الإظهار والإبانة والإلقاء.

قالوا: سُمِّي القرآن قرآنا: لأن القارئ يُظْهِرُه ويُبيِّنُه ويلفظه من فيه[١٩]. وقد أخرج ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) عن عبدالله بن عباس (ت ٦٨هـ) رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾[القيامة: ١٨] قال: بَيَّناه[٢٠].

---

(١٦) السَّلَى: غِشَاء رقيق يكون فيه الجنين في الرحم، وهو بمنزلة المشيمة في الإنسان. انظر: المعجم الوسيط (مادة: سلى)، (١/٤٤٧).

(١٧) البيت لعمرو بن كلثوم، وهو من معلقته. (شرح القصائد المشهورات ٢/٩٣).

والعَيْطَل: الناقة الطويلة، أو طويلة العُنُق في حُسْن منظر وسِمَن. (اللسان: ع.ط.ل).

والأدمة في الإبل: البياض مع سواد المُقْلَتين. (اللسان: أ.د.م).

والهِجَان من الإبل: البِيْض الكرام. (اللسان: هـ.ج.ن).

(١٨) روى ابن جرير (١/٩٦) عنه في قوله تعالى: (إن علينا جمعه وقرآنه) [القيامة: ١٧]: قال: حفظه وتأليفه.

قال ابن جرير رحمه الله: " ولكلا القولين – أعني قول ابن عباس وقول قتادة – اللذين حكيناهما وجه صحيح من كلام العرب، غير أن أولى قوليهما بتأويل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ قول ابن عباس– إلى أن قال –: وإذا صح أن حكم كل آية من آي القرآن كان لازمًا النبي ﷺ اتباعُه والعملُ به، مُؤَلَّفة كانت إلى غيرها أو غير مُؤَلَّفة – صَحَّ ما قال ابن عباس في تأويل قوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ أنه يعني به: فإذا بينّاه لك بقراءتنا فاتبع ما بينّاه لك بقراءتنا - دون قول من قال: معناه: "فإذا ألَّفْنَاه فاتبع ما ألَّفْنَاه".[٢١]

وَقال قُطْرُب محمد بن المستنير (ت ٢٠٦هـ)[٢٢]: "سُمِّي قرآنا: لأن القارئ يكتبه، وعند القراءة كأنه يُلقيه من فيه، أخذًا من قول العرب: ما قَرَأَت الناقة سَلًى قط. أي: ما رَمَت بولد، وما أسْقَطَت ولدًا قط، وما طَرَحت... فالقرآن يَلْفظه القارئ من فيه ويُلقيه، فسُمِّي قرآنا " ا.هـ[٢٣].

وبهذا فَسَّرُوا ما تقدم من قول الشاعر:

... ... لم تَقْرَأ جنينا

أي: لم تُلْقِه.

---

(١٩) انظر: المحيط في اللغة (مادة: القاف والراء، و.ا.ي)، (٦/١٠).

(٢٠) تفسير ابن جرير (١/ ٩٥) في المقدمة، وساقه أيضًا عند تفسير هذه الآية من سورة القيامة.

(٢١) السابق (١/ ٩٦ – ٩٧).

(٢٢) محمد بن المستنير بن أحمد البصري، لغوي، نحوي، أخذ النحو عن سيبويه من علماء البصرة. وله مصنفات، منها: معاني القرآن، والاشتقاق، وغيرها. توفي ببغداد سنة ٢٠٦ هـ. (معجم المؤلفين ١٢/١٥).

(٢٣) التفسير الكبير للرازي (٥/٨٦)، تهذيب الأسماء واللغات (مادة: قرأ)، (٣/٨٤).

٢ - الذين قالوا: إنه مُشْتَق من (القُرْء)لم يتَّفِقُوا على المعنى الذي يرجع إليه هذا اللفظ بناء على الاختلاف المشهور في معنى القُرْء مما لا يكاد يخلو منه كتاب من كتب الفقه، والتفسير، وشروح الحديث، والمعاجم اللغوية وغيرها.(٢٤) وحاصل الأقوال فيه ترجع إلى ثلاثة(٢٥).

القول الأول: أنه يرجع إلى معنى الضم والجمع. قالوا: ومنه: قرأتُ الماء في الحوض، أي: جمعته.

والقائلون بهذا التفسير للقُرْء لم يتفقوا على حقيقة المُراد به، فمنهم من حَمَلَه على الطُّهْر، ومنهم من حَمَلَه على الحيض. وهما قولان مشهوران لأهل العلم من الصحابة رضي

الله عنهم فمن بعدهم.

وسيأتي ما يوضح ذلك عند الكلام على القول الثالث.

القول الثاني: عكس ما سبق، حيث فُسِّر بالإلقاء والطَّرْح، يقال: قَرَأَت المرأة قرءًا، إذا رأت دمًا، وأقرأت: حاضت، فهي مُقْرِئ.(٢٦)

قال قُطْرُب: " وسُمِّي الحيض قُرْءًا بهذا التأويل" ا.هـ(٢٧). أي: باعتبار أنه وقت خروج الدم المُعتاد.

القول الثالث: أنه مُشْتَرَك، فَيُطْلَق على المعنيين السابقين.(٢٨)

---

(٢٤) راجع المصادر المذكورة فيما مضى قريبًا في الحاشية المتعلقة بتعريف القرآن في اللغة.

(٢٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/٣٠٢ – ٣٠٥).

(٢٦) انظر: المحيط في اللغة (مادة: القاف والراء، و.ا.ي)، (٦/١٠).

(٢٧) تفسير الرازي (٥/٨٦)، تهذيب الأسماء واللغات (مادة: قرأ)، (٣ / ٨٤).

(٢٨) وعزاه الرازي للأصمعي والأخفش والفراء والكسائي. (تفسير الرازي ٦/٨٨). وانظر: تهذيب الأسماء

قال إبراهيم الزجاج (ت ٣١١هـ): "وفي هذا مذهبٌ آخر: وهو أن القُرْء: الطُّهْر، والقُرْء: الحيض. قال أبو عبيدة [معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ)]: إن القُرْء يصلح للحيض والطُّهْر... وأخبرني من أثق به إلى يونس [الضَّبي (ت ١٨٢هـ)](٢٩): أن الإقراء عنده يصلح للحيض والطُّهر.

وذكر أبو عمرو بن العلاء [(١٥٧هـ)] أن القُرْء: الوقت، وهو يصلح للحيض، ويصلح للطُّهْر" ا.هـ.(٣٠)

قال سعيد الأخفش (ت ٢١٥هـ)(٣١): أقْرَأَتْ المرأة: إذا حاضت، وما قَرَأَت حيضة:

ما ضَمَّت رحمها على حيضة " ا.هـ.(٣٢)

واللغات (مادة: قرأ)، (٣/٨٥).

(٢٩) هو يونس بن حبيب الضَّبي، مولاهم، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وحماد بن سلمة، وسمع من العرب، وأخذ عنه الكسائي والفراء، وروى عنه سيبويه فأكثر. قال أبو عبيدة: اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ ألواحي من حفظه. عاش ثمانيًا وثمانين سنة، ولم يتزوج ولم يَتَسَرَّ، ولم يكن له هِمَّة إلا طلب العلم، وكان إمامًا في النحو واللغة، توفي سنة ١٨٢ هـ.

(البُلْغَة في تراجم أئمة النحو واللغة ص ٢٤٧).

(٣٠) معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٠٤).

(٣١) ذكر السيوطي في بغية الوعاة (٢/٣٨٩) أن المسمين بـ (الأخفش) أحد عشر، أشهرهم ثلاثة: الأكبر، والأوسط، والأصغر. وقد سماهم جميعًا. والمذكور هنا هو الأوسط، وهو سعيد بن مسعدة المجاشعي، مولى بني مجاشع، من أهل بلخ، سكن البصرة، وكان من المعتزلة. قرأ النحو على سيبويه، وكان أسن منه، ولم يأخذ عن =

= الخليل. توفي سنة (٢١٥هـ). والكلام المنقول عنه هنا (بتصرف) من كتابه (معاني القرآن ١/١٨٧). انظر في ترجمته: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص ١٠٤ – ١٠٥.

(٣٢) السابق (١/ ٣٠٣).

والمقصود أن عامة أهل اللغة يذكرون المعنيين، كما في القاموس: "والقَرْء، ويُضَم: الحيض، والطُّهْر، ضِدّ. وقَرَأَت الناقة: حَمَلَت.

والشيء: جَمَعَه وَضَمَّه. والحامل: وَلَدَتْ" ا.هـ.[٣٣]

وهذا قد يُفسِّر ما وقع من الاختلاف في حقيقة المُراد بالقُرْء عند من فَسَّره بمعنى الجمع؛ وذلك أن بعضهم ذهب إلى أن المُراد به الحيض؛ لأن الدم في وقته يجتمع في الرحم.

وأما الذين حملوه على الطُّهْر فقد علَّلوا ذلك بأن الدم في وقت الطُّهْر يجتمع في البدن. أو لاجتماعه في الرحم واحتباسه فيه فلا يخرج.

ومن هنا ارْتَأى بعض العلماء التعبير عن ذلك بعبارة تجمع المعنيين وتُؤَلِّف بينهما، كقول الزجاج بعد أن ذكر المعنيين السابقين: " والذي عندي: أن القُرْءَ في اللغة: الجمع، وأن قولهم: قَرَيْتُ الماء في الحوض، من هذا...

وقولك: قرأتُ القرآن: أي لفظت به مجموعا... فإنما القُرْء اجتماع الدم في البدن، وذلك إنما يكون في الطُّهْر، وقد يكون اجتماعُه في الرحم، وكلاهما حَسَن، وليس بخارج عن مذاهب الفقهاء، بل هو تحقيق المذهبين" ا.هـ[٣٤].

وكما نَلْحَظ أن الكثير من أهل العلم من المفسرين وأهل اللغة وغيرهم حينما يتعرضون لبيان معنى هذه المادة (ق.ر.أ) فإنهم يُورِدُون (القراءة)، و (القرء) في سياق واحد؛ لكونهم يُرْجِعُون ذلك إلى معنى واحد في الأصل[٣٥].

---

(٣٣) القاموس المحيط (مادة: القرآن) ص ٦٢.

(٣٤) معاني القرآن وإعرابه (١/٣٠٥).

(٣٥) تجد ذلك في عامة المصادر المذكورة في الحاشية المتعلقة بمعنى القرآن في اللغة، وغيرها من المصادر مما لم أذكره كثير.

بل إن بعضهم قد توسَّع في ذلك فأدخل – بالإضافة إلى ما سبق – ألفاظًا أخرى قد لا تتفق مع الألفاظ السابقة في أصل الاشتقاق. ولعل من المفيد أن أُورد بعض النماذج لذلك:

١ - قال ابن فارس رحمه الله: " القاف، والراء، والحرف المُعتل[٣٦]: أصْلٌ صحيح يدل على جمع واجتماع – إلى أن قال – وإذا هُمِزَ هذا الباب كان هو والأول سواء.

قالوا: ومنه القرآن، كأنه سُمِّي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك... " ا.هـ[٣٧].

٢ - قال في الفائق: " قرأ، وقرى، وقرش، وقرن: أخوات في معنى الجمع" ا.هـ[٣٨].

٣ - جاء في نزهة الأعين النواظر: " القرية: اسم لما يجمع جماعة كثيرة من الناس، وهو اسم مأخوذ من الجمع. تقول: قَرَيتُ الماء في الحوض، إذا جمعتَه فيه. ويُقال للحوض الذي فيه الماء: مقرأة.

قال الزجاج: والقُرْء في اللغة: الجمع.

وسُمي القرآن قرآنا لأنه كلام مجتمع.

وقال ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ): سُمِّي القرآن قرآنا: لأنه جمع السور وضمها. وهو من قولك: ما قَرَأَت الناقة سَلًى قط، أي: ما ضمت في رحمها ولدا"[٣٩].

---

(٣٦) أي: الألف، والواو، والياء.

(٣٧) المقاييس في اللغة (مادة: قري) ص ٨٨٣ – ٨٨٤.

(٣٨) الفائق (مادة: قرأ)، (٣ / ١٧٧).

٤ - قال النووي رحمه الله: " قال الأخفش: يقال: ما قَرَأَت حيضة، أي: ما ضمت رحمها على حيضة.

والقرآن من القُرْء الذي هو الجمع.

وقَرَأَ القارئ: أي: جمع الحروف بعضها إلى بعض في لفظ.

وهذا الأصل يُقَوِّي أن الأقراء هي الأطهار.

قال أبو إسحاق – يعني الزجاج -: والذي عندي في حقيقة هذا: أن القُرْء: الجمع، من قولهم: قَرَيْتُ الماء في الحوض. وإن كان قد ألزم الياء، فهو جَمَعْت. وقَرأتُ القرآن: لَفَظْت به مجموعًا.

وإنما القُرْء اجتماع الدم في الرحم، وذلك إنما يكون في الطُّهْر.

هذا كلام الزجاج " ا.هـ(٤٠).

ثم إن ما قرره هؤلاء الأئمة – أي: بذلك التوسع – لم يكن محل موافقة وتسليم عند آخرين، اعتبارًا بأصل الاشتقاق. وسأكتفي هنا بإيراد اعتراضين على ذلك لاثنين من الأئمة المُحقّقين:

الأول: هو حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) رحمه الله تعالى فقد قال: " قول من قال: إن القُرْء مأخوذ من قولهم: قَرَيْتُ الماء في الحوض ليس بشيء؛ لأن القُرْءَ مهموز، وهذا غير مهموز " ا.هـ.

وقد علق عليه محمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) بقوله: "قلت: هذا صحيح بنقل أهل اللغة: [أبو نصر] الجوهري [(ت ٣٩٣هـ)] وغيره. واسم ذلك الماء: (قِرَى) بكسر القاف مقصور" ا.هـ(٤١).

---

(٣٩) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص ٤٩٩ – ٥٠٠.

(٤٠) تهذيب الأسماء واللغات (مادة: قرأ)، (٣ / ٨٦).

الثاني: هو الحافظ شمس الدين ابن القيم (ت ٧٥١هـ) رحمه الله، فقد قال: "وقولكم: إن القُرْء مُشتق من الجمع، وإنما يُجمع الحيض في زمن الطهر؛ عنه ثلاثة أجوبة:

أحدهما: أن هذا ممنوع، والذي هو مُشتق من الجمع إنما هو من باب الياء من المُعْتَل من قَرَى يَقْرِي، كقضى يقضي، والقُرْء من المهموز من بنات الهمز، من قرأ يقرأ، كنحر يَنحَر، وهما أصلان مختلفان؛ فإنهم يقولون: قَريتُ الماء في الحوض أقريه، أي: جمعتُه، ومنه سُمِّيت القرية، ومنه قرية النمل: للبيت الذي تجتمع فيه؛ لأنه يَقْرِيْها، أي: يَضُمُّها ويجمعها. وأما المهموز فإنه من الظهور والخروج على وجه التوقيت والتحديد، ومنه قراءة القرآن؛ لأن قارئه يُظهره ويُخرجه مقدارًا محدودًا لا يزيد ولا ينقص، ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧] ففرق بين الجمع والقرآن. ولوكانا واحدا لكان تكريرا محضا؛ ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] فإذا بَيَّناه.[٤٢] فجعل قراءته نفس إظهاره وبيانه، لا كما زعم أبو عبيدة أن القرآن مُشتق من الجمع.

ومنه قولهم: ما قَرَأَتْ هذه الناقة سَلًى قَط، وما قَرَأَتْ جنينا، هو من هذا الباب، أي: ما ولدته وأخرجته وأظهرته، ومنه: فلان يقرؤك السلام، ويَقْرَأ عليك السلام، هو من الظهور والبيان، ومنه قولهم: قَرَأَتْ المرأةُ حيضة أو حيضتين، أي حاضتهما؛ لأن الحيض ظهور ما كان كامِنا كظهور الجنين، ومنه: قُروء الثُّريا، وقُروء الريح: وهو الوقت الذي يظهر المطر والريح، فإنهما يظهران في وقت

---

(٤١) تفسير القرطبي (١١٤/٣)

(٤٢) مضى قريبًا.

مخصوص، وقد ذكر هذا الاشتقاق المصنفون في كتب الاشتقاق، وذكره أبو عمرو[(٤٣)] وغيره، ولا ريب أن هذا المعنى في الحيض أظهر منه في الطُّهر"[(٤٤)] ا.هـ.

والمقصود من إيراد ذلك كله أن يعلم القارئ الكريم أن من الألفاظ ما تَنَازَع أهل اللغة في مادة اشتقاقه وفي معناه، وقد يَحْتَجُّ كل فريق لقوله بأَثَارَة من كتاب الله تعالى، أو سنة نبيه ﷺ، أو كلام العرب. ومن ثم يختلف أهل العلم من الفقهاء أو غيرهم من المُعَرِّفِين لذلك اللفظ في الاصطلاح إن لم يكن له معنى يخصه في الشرع.

إذا تبين ذلك فإنه يمكن القول بأن الأقرب: أن (القرآن) مُشْتَق من القراءة، وقد تُحذف همزته تخفيفًا.

وأما ما يتعلق بمعنى هذه اللفظة (القراءة) فإنها تدل على معنى الجمع، كما تدل على معنى آخر وهو الإلقاء والإظهار والإبانة.

وإذا تأملنا فقد نَسْتَبْعِد رجوع هذا الاسم (القرآن) إلى ذينك المعنيين جميعًا وارتباطه بهما؛ فبالنظر إلى معنى الجمع يمكن القول بأنه قيل له ذلك لأنه قد جمع السور أو القصص والأخبار والأحكام والأمثال والعقائد... إلخ.

وبالنظر إلى معنى الإلقاء والإبانة؛ فلكون القارئ يلفظ به ويُلقيه ويُبين عنه. والله تعالى أعلم.

القرآن في الاصطلاح

هو كلام الله المُنَزَّل على محمد ﷺ، بواسطة جبريل عليه السلام، المعجز بأقصر سورة منه[(٤٥)].

---

(٤٣) يعني: ابن العلاء.

(٤٤) زاد المعاد (٥ / ٦٣٥).

(٤٥) راجع التحبير (ص ٣٩).

وهذا التعريف جامع مانع، ويمكن أن يُزاد عليه (المُتَعَبَّد بتلاوته) ولا ضرورة لهذه الزيادة فالمعنى تام بدونها.

محترزات التعريف:

قولنا: "كلام الله" أخرج غيره من كلام الإنس، والجن، والملائكة. وهذا القيد يُخرج الأحاديث النبوية، كما يخرج الأحاديث القدسية، على القول بأن ألفاظها من النبي ﷺ ومعانيها من الله.

قولنا: "المُنَزَّل" أخرج كلامه سبحانه الذي لم ينزله.

قولنا: "على محمد ﷺ" أخرج ما أُنزل على غيره من الأنبياء.

قولنا: المُعْجِز بأقصر سورة منه "يُخرج الأحاديث القدسية (بناء على القول بأنها كلام الله لفظًا ومعنًى).

تنبيه: الأشاعرة والماتريدية قد لا يعارضون في مثل هذا التعريف، فهم يقولون: "القرآن كلام الله". لكنهم يريدون المعنى دون اللفظ، ويقولون بأن الكلام قد يُعبر به في بعض المواضع عن المعنى القائم في النفس، دون اللفظ.

وهذا مردود عند أهل السنة؛ لأن الكلام في الكتاب والسنة واللغة إذا أُطلق فإنه يُراد به اللفظ والمعنى، مثل إطلاق لفظ "الإنسان" على مجموع الروح والجسد.

وفي تعريف القرآن لم نُقيد قولنا: "كلام الله" بـ "لفظه ومعناه"؛ لأن الكلام عند الإطلاق يتجه إلى مجموع اللفظ والمعنى؛ هذا هو الأصل[٤٦].

وقد عرَّف بعضهم القرآن]... بأنه اللفظ المُنزل على النبي ﷺ من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

---

(٤٦) انظر: كتاب مناهل العرفان للزرقاني (دراسة وتقويم) (ص ١٦٠، ١٧٦).

هذا الإطلاق... يُنسب إلى علماء الأصول والفقه واللغة العربية، ويوافقهم عليه

المتكلمون – أيضًا – غير أنّ هؤلاء الذين أطلقوه على اللفظ المنزل إلخ، اختلفوا في تعريفه: فمنهم من أطال في التعريف وأطنب، بذكر جميع خصائص القرآن المُمتازة، ومنهم من اختصر فيه وأوجز، ومنهم من اقتصد وتوسَّط. فالذين أطنبوا عرَّفوه: (بأنه الكلام المُعجزُ المُنزلُ على النبي ﷺ، المكتوبُ في المصاحف، المنقول بالتواتر، المُتعبد بتلاوته).

وأنت ترى أن هذا التعريف جمع بين الإعجاز، والتنزيل على النبي ﷺ، والكتابة في المصاحف، والنقل بالتواتر، والتعبد بالتلاوة، وهي الخصائص العظمى التي امتاز بها القرآن الكريم، وإن كان قد امتاز بكثير سواها.

ولا يخفى عليك أن هذا التعريف كان يكفي فيه ذكر بعض تلك الأوصاف، ويكون جامعًا مانعًا، غير أن مقام التعريف مقام إيضاح وبيان، فيناسبه الإطناب لغرض زيادة ذلك والبيان؛ لذلك استباحوا لأنفسهم أن يزيدوا فيه ويُسْهِبوا.

والذين اختصروا وأوجزوا في التعريف: منهم من اقتصر على ذِكْر وصف واحد هو الإعجاز. وَوِجْهة نظرهم في هذا الاقتصار: أن الإعجاز هو الوصف الذاتي للقرآن، وأنه الآية الكبرى على صدق النبي ﷺ، والشاهد العدل على أن القرآن كلام الله.

ومنهم من اقتصر على وصفين: هما الإنزال والإعجاز، وحجتهم: أن ما عدا هذين الوصفين ليس من الصفات اللازمة للقرآن. بدليل أن القرآن قد تحقق فعلاً بهما دون سواهما على عهد النُّبوة.

ومنهم من اقتصر على وصفي النقل في المصاحف والتواتر؛ لأنهما يكفيان في تحصيل الغرض، وهو بيان القرآن وتمييزه عن جميع ما عداه.

والذين تَوَسَّطُوا: منهم مَنْ عَرَضَ لإنزال الألفاظ، وللكتابة في المصاحف، وللنقل بالتواتر فحسب، موجِّهًا رأيه بأن المقصود هو تعريف القرآن لمن لم يُدْركه زمن النبوة، وأن ما ذكره من الأوصاف هو من اللوازم البينة لأولئك الذين لم يُدركوها، بخلاف الإعجاز فإنه غير بيِّن بالنسبة لهم، وليس وصفًا لازمًا لِمَا كان أقل من سورة من القرآن.

ومن أولئك الذين تَوَاسَطوا مَنْ عرض للإنزال والنقل بالتواتر والتعبد بالتلاوة فقط،

مُستندًا إلى أنّ ذلك هو الذي يُناسب غرض الأصوليين، وعرّفوه بأنه: (اللفظ المُنزل على النبي ﷺ، المنقول عنه بالتواتر، المُتعبد بتلاوته).

فاللفظ: جنس في التعريف، يشمل المفرد والمُركَّب. ولا شك أن الاستدلال على الأحكام كما يكون بالمُركَّبات يكون بالمفردات، كالعام والخاص، والمطلق والمقيد.

وخرج بالمنزل على النبي ﷺ: ما لم ينزل أصلاً مثل كلامنا، ومثل [ألفاظ] الحديث النبوي، وما نزل على غير النبي ﷺ كالتوراة والإنجيل.

وخرج بالمنقول تواترًا: جميعُ ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة، سواء أكانت[آحادية]... نحو قراءة [عبدالله] ابن مسعود [(٣٣هـ)] رضي الله عنه "متتابعات" عقيب قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ (٤٧) [المائدة: ٨٩]، أم كانت [شاذة كقراءة: "إياكَ يُعْبَد" [الفاتحة: ٤] المروية عن الحسن البصري (ت

(٤٧) تفسير ابن جرير (١٠ / ٥٦٠)

١١٠هـ)[٤٨] .]... فإن شيئًا من ذلك لا يُسمى قرآنًا، ولا يأخذ حكمَه. وخرجت الأحاديث القدسية إذا تواترت بقولهم: "المتعبد بتلاوته".

تعريف علوم القرآن باعتباره عَلَمًا على ذلك الفن الخاص به:

لم أجد لأحد من المتقدمين تعريفًا له بهذا الاعتبار، وإنما وجدت ذلك لبعض المعاصرين، حيث حاولوا تعريفه بمفهومه الشامل، فجاءت تعريفاتهم متقاربة في المعنى مع بعض التفاوت في الألفاظ.

ولعل من أحسن تلك التعريفات: أن يقال: هو عِلْم يضم أبحاثًا كُلية تتصل بالقرآن الكريم من نواحٍ شتى، يمكن اعتبار كل منها عِلْمًا متميزًا.[٤٩]]

هذا وإنما سُمِّي هذا العلم (علوم القرآن) -بالجمع دون الإفراد -للإشارة إلى أنه خلاصة علوم متنوعة، باعتبار أن مباحثه المُدَوَّنة تتصل اتصالاً وثيقاً...بالعلوم [الشرعية]... والعلوم العربية، حتى إنك لتجد كل مبحث منها خليقًا بأن يُسْلَك في عداد مسائل علم من تلك العلوم...

المقدمة الثانية: في موضوع هذا العلم وفائدته وأهميته وغايته.

أولاً: موضوعه

إن موضوع هذا العلم هو[القرآن الكريم من[٥٠] ...أية ناحية من النواحي [المشار إليها]... في التعريف. بخلاف علوم القرآن بالمعنى الإضافي، فإن موضوعه: هو مجموع موضوعات تلك العلوم المنضوية تحت لوائه. وموضوع كل واحد منها هو القرآن الكريم من ناحية واحدة من تلك النواحي، فعِلْم القراءات – مثلاً - موضوعه:

---

(٤٨) انظر: الإتقان (١ / ٢١٦)، إتحاف فضلاء البشر (١ / ٣٦٤).

(٤٩) انظر: مقدمة التحقيق لكتاب فنون الأفنان (ص ٧١).

(٥٠) انظر: مناهل العرفان (١/ ٢٠)، أصول التفسير وقواعده (ص٣٢).

القرآن الكريم من ناحية لفظه وأدائه، وعلم التفسير موضوعه: القرآن الكريم من ناحية شرحه ومعناه، وهَلُمَّ جَرّا.

ثانيًا: فائدته(٥١)

١ - يعين على فهم القرآن الكريم، واستنباط الأحكام والآداب منه، كما يجعل صاحبه مُؤَهَّلاً لتفسيره.

٢ - يُعَرِّفُ الدارس بتاريخ هذا الكتاب العظيم، من حيث مبدأ نزوله، ومدته، وطريقة هذا النزول، وأماكنه، وأوقاته، والأحداث التي نزل فيها.

٣ - يُوَفِّر للدارس الكثير من العلوم والمعارف المهمة التي تتعلق بالقرآن الكريم.

٤ - يُسَلِّح من وقف عليه، وفهمه، بسلاح قوي يُمَكِّنه من إزالة الإشكالات التي قد تَعْرِض له، ويجعله قادرًا على دَحْض شُبه المُضلين.

٥ - يُوجِدُ المَلَكَة والقدرة على إدراك مواطن العِبر، والحُجَج، والأحكام، من القرآن العظيم.

ثالثًا: أهميته (٥٢)

إن هذا العلم هو الميزان الدقيق الذي يستعين به المفسر على فهم كلام الله تعالى، كما يمنعه من الخطأ والشطح في التفسير غالبًا.

---

(٥١) انظر: مناهل العرفان (٢/١) أصول التفسير وقواعده (ص٣١)، موارد الظمآن في علوم القرآن (ص ٧-٨).

(٥٢) انظر: أصول التفسير وقواعده (ص ٣٠ – ٣١).

هـذا وإن مَثَـلَ هـذا العلـم بالنسـبة للتفسـير، ونسـبته إليـه، كنسـبة علـم النحـو للعربيـة، مـن حيـث الـتمكين مـن سـلامة النطـق العربـي، والكتابـة العربيـة، وفهـم نصوصـها، ونظـيره أيضًـا علـم أصـول الفقـه وقواعـده بالنسـبة للفقـه، وكـذا علـم المصطلح، بالنسبة للحديث النبوي.

فبهـذا العلـم يُعـرف صـحيح التفسـير مـن فاسـده، كمـا أن علـم النحـو بـه يُعرف صحيح الكلام من خطئه، وعلم المصطلح يُعرف بـه صـحيح الحـديث مـن غيره.

رابعًا: غايته(٥٣)

معرفة معاني الـنظم القرآني وتوضـيح آياتـه، وبيـان معانيهـا وغوامضـها، وإبـراز أحكامهـا وبعـض مـا يتعلـق بهـا، ومـن ثـم العمـل بمقتضـاها لتحصـيل سـعادة الـدنيا والآخرة.

المقدمة الثالثة: في نشأة هذا العلم وتطوره والمراحل التي مرَّ بها

نشأة هذا العلم وتطوره والمراحل التي مرَّ بها: (٥٤)

١- القرن الأول للهجرة

أ) **العهد النبوي:** كـان الرسـول ﷺ وأصـحابه يعرفـون عـن القـرآن وعلومـه، مـا عرف العلماء وفوق ما عـرف العلمـاء مـن بعـد. ولكـن معـارفهم لم توضـع علـى ذلـك

---

(٥٣) انظر المصدر السابق (ص ٣١).

(٥٤) راجع مـا كتبـه محقـق فنـون الأفنـان (ص ٧٢ – ٧٣) ، التحبير (ص ٢٨)، ومقدمـة أبي الفضـل إبـراهيم لكتـاب الإتقـان (١/٧- ٨)، مقدمـة السـيوطي لكتـاب الإتقـان (١/ ٤ – ١٨) ، مباحـث في علـوم القرآن لصبحي الصـالح (١١٩ – ١٢٦)، مناهـل العرفـان (١/٢١ – ٣٣) ، مباحـث في علـوم القـرآن للقطان (٩ – ١٥)، أصول التفسير وقواعده (٣٢ – ٣٥).

العهد كفنون مُدَوَّنة، ولم تُجمع في كتب مُؤلَّفة؛ لأنهم لم تكن لهم حاجة إلى التدوين والتأليف.

أما الرسول ﷺ فلأنه كان يتلقّى الوحي عن الله وحده، والله تعالى كتب على نفسه الرحمة، ليجمعنَّه له في صدره، ولَيُطْلقنَّ لسانه بقراءته وترتيله، ولَيُمِيطنَّ له اللثام عن معانيه وأسراره. اقرأ إن شئت قوله سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾. [القيامة: ١٦ -١٩].

ثم بلَّغ الرسول ما أُنزل عليه لأصحابه، وقرأه على الناس على مُكْثٍ أي: على مَهَل وتُؤَدة؛ ليُحْسِنوا أخذه، ويحفظوا لفظه، ويفهموا سرَّه.

ثم شرح الرسول لهم القرآن بقوله، وبعمله، وبتقريره، وبخُلقه، أي: بسنته الجامعة لأقواله وأفعاله، وتقريراته، وصفاته، مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: ٤٤].

ولكن الصحابة وقتئذ كانوا عربًا خُلَّصًا، متمتعين بجميع خصائص العروبة ومزاياها الكاملة من قوَّة في الحافظة، وذكاء في القريحة، وتذوق للبيان؛ وتقدير للأساليب، ووزن لما يسمعون بأدق المعايير، حتى أدركوا من علوم القرآن ومن إعجازه بسليقتهم وصفاء فطرتهم، ما لا نستطيع نحن أن ندركه مع زَحْمة العلوم، وكثرة الفنون.

وكان الصحابة – رضوان الله عليهم – مع هذه الخصائص – أُميين، وأدوات الكتابة لم تكن ميسورة لديهم، والرسول نهاهم أن يكتبوا عنه شيئًا غير القرآن وقال لهم أولَ العهد بنزول القرآن فيما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري [(ت ٧٤هـ)] – رضي الله عنه -: (ولا تكْتُبُوا عنِّي. ومن كتبَ عني غيرَ القرآن فَلْيَمْحُهُ.

وحَدِّثُوا عنِّي فلا حرج. ومن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مقعده من النار)[٥٥]. و[العل] ذلك [من أجل الحث على توجيه العناية بالقرآن الكريم، وربما أن ذلك كان في أول الأمر] مخافة أن يلتبس القرآن بغيره، أو يختلط بالقرآن ما ليس منه؛ ما دام الوحي نازلاً بالقرآن. فلتلك الأسباب المتضافرة لم تُكْتَب علوم القرآن، كما لم يُكْتَب الحديث الشريف [بمعنى التدوين والتصنيف المعروف، وإلا فقد كتب بعضهم لنفسه ومنه ما كان بإذن النبي صلى الله عليه وسلم]. ومضى الرعيل الأول على ذلك ولكن الصحابة كانوا مضرب الأمثال في نشر الإسلام وتعاليمه، والقرآن وعلومه، والسنة وتحريرها، تلقينًا لا تدوينًا، ومشافهة لا كتابة.

لقد نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ والعرب أهل فصاحة وسليقة تمكنهم من فهم كثير من آياته، وكان إذا أشكل عليهم شيء من معانيه أو أحكامه سألوا رسول الله ﷺ فيبينه لهم، وكان ﷺ يُفَسِّر لهم بعض آياته ويُعلمهم أحكامه، ويُقرئ كل واحد منهم على الحرف الذي يتيسر له القراءة به، كما تَعلَّم أولئك الصحابة رضي الله عنهم ناسخه ومنسوخه وشاهدوا نزوله، وعرفوا أوقات هذا النزول، وأماكنه، وأسبابه – إن كان من ذوي الأسباب – وكان أحدهم لا يتجاوز بضعًا من آياته حتى يفهمها ويعمل بها.

هذا وقد كان للنبي ﷺ جماعة من أصحابه يكتبون له كل ما يتنزل من القرآن في حينه، فلم ينزل شيء من آياته وسوره إلا وقد كتبوه، لكنه كان مُفَرَّقًا في الأكتاف والعُسُب وما إلى ذلك من الوسائل التي كانوا يكتبون عليها آنذاك.

---

(٥٥) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث، وحكم كتابة العلم. حديث رقم: (٣٠٠٤)، (٢٢٩٨/٤).

وكان إذا نزل على النبي ﷺ شيء من القرآن أرشدهم إلى موضعه من السورة التي هو جزء منها.

فجاءت الآيات مُرَتَّبة في السور– كما نقرؤها اليوم – بأمر النبي ﷺ وبيانه.

ب) عهد الخلفاء الراشدين: لما قُبض رسول الله ﷺ، وصار الخليفة من بعده أبا بكر الصديق (ت ١٣هـ) رضي الله عنه، وارتد كثير من العرب عن الإسلام، جاءت حروب الردة التي راح ضحيتها ما يقرب من السبعين من القراء، مما حَدَا بعمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ) رضي الله عنه أن يُشير على أبي بكر رضي الله عنه بجمع القرآن، فكان ذلك.

ومنذ ذلك الوقت أصبح القرآن مجموعًا في صُحُف بعد أن كان مُفَرَّقًا في العُسُب، واللِّخاف، [٥٦] وقطع الأكتاف.

ولما كانت خلافة عثمان رضي الله عنه، واختلف الناس في القراءة، وكادت الفتنة أن تقع بينهم في ذلك، قام عثمان رضي الله عنه فجمعهم على مصحف واحد مرسوم بدقة متناهية، وأَمَر بما سواه من المصاحف والصُّحُف أن تُحرق درءًا للفتنة.

ومنذ كتابة ذلك المصحف ظهر ما يُسمى بـ (الرسم العثماني) للمصاحف، والذي صار سُنَّةً مُتَّبعة في كتابتها إلى هذا اليوم.

هذا وإن من الأعمال والجهود التي رُوِي أنها بُذِلَت في عصر الخلفاء: ما نَقَله السيوطي–بغير إسناد– عن محمد بن أَشْتة (ت ٣٦٠هـ)[٥٧] في كتابه "المصاحف" عن محمد بن سيرين (ت ١١٠هـ)، وفيه: أن علي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ) رضي الله عنه

---

(٥٦) هي حجارة بيض رقاق، واحدتها (لَخَفَة). انظر: القاموس (مادة: اللخف) (ص ١١٠٢).

(٥٧) محمد بن عبدالله بن أَشْتَة اللوذري الأصبهاني، سكن مصر وتوفي فيها سنة (٣٦٠ هـ). طبقات المفسرين للداوودي (١٦١/٢).

كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ، وأن ابن سيرين قال: فطلبت ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى المدينة، فلم أقدر عليه(٥٨).

وقد ساق الحافظ ابن عبد البر رحمه الله بسنده إلى ابن سيرين رحمه الله أنه قال: "لما بُويع أبو بكر أبطأ علي عن بيعته، فجلس في بيته، فبعث إليه أبو بكر: ما بَطَّأَك عني؟! أكَرِهْتَ إمْرَتِي؟! فقال علي: ما كرهت إمارتك، ولكني آليتُ أن لا أرتدي ردائي إلا إلى صلاة، حتى أجمع المصحف. قال ابن سيرين: وبلغني أنه كتبه على تنزيله، ولو أُصيب ذلك الكتاب لوُجد فيه علم كثير."(٥٩)

---

(٥٨) ذكره السيوطي في الإتقان (١/١٦٦). وكتاب المصاحف لابن أَشْتَة مفقود.

(٥٩) ثم عَقَّبه ابن عبدالبر بقوله: " أجمع أهل العلم بالحديث أن ابن سيرين أصح التابعين مَرَاسِل،وأنه كان لا يروي ولا يأخذ إلا عن ثقة،وأن مَرَاسِله صحاح كلها،ليس كالحسن وعطاء في ذلك" ا.هـ. التمهيد (٨/ ٣٠٠– ٣٠١).

وهذا الأثر أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ القسم الثاني ص ١٠١) وهو مرسل. ومن هذا الطريق أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٢ / ٣٩٩). وأخرجه ابن أبي داود من طريق أشعث عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي ﷺ أقسم عليّ أن لا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام: أَكرِهْتَ أمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله، إلا أني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلّا لجمعة، فبايعه ثم رجع.

وقد عقَّبه ابن أبي داود بقوله: " لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث، وهو لَيِّن الحديث. وإنما رووا: "حتى أجمع القرآن ". يعني: أُتم حفظه؛ فإنه يُقال للذي يحفظ القرآن: "قد جمع القرآن" ا.هـ. المصاحف ص١٦. ومن طريقه أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٢/ ٣٩٨).

وقال الحافظ ابن كثير بعد نَقْله ما سبق – وقد حكم عليه بالانقطاع –: " وهذا الذي قاله أبو بكر – يعني: ابن أبي داود – أظهر، والله أعلم؛ فإن عليا لم يُنقل عنه مصحف على ما قيل ولا غير ذلك. ولكن قد تُوجد مصاحف على الوضع العثماني يقال: إنها بخط علي رضي الله عنه، وفي ذلك نظر؛ فإن في بعضها: (كتبه علي بن أبو طالب) وهذا لحن من الكلام، وعلي رضي الله عنه من أبعد الناس عن ذلك؛ فإنه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو فيما رواه عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي... " ا.هـ فضائل القرآن لابن كثير ص ٢٣-٢٤.

وإن مما نُقل في ذلك العهد أيضًا: أن عليا ﷺ أمر أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) بوضع قواعد النحو[٦٠] صيانة للنطق، وضبطًا للقرآن، فكانت هذه بداية لإعراب القرآن[٦١].

ج) **مرحلة ما بعد الخلافة حتى نهاية القرن الأول الهجري:** ذُكر أن زياد بن أبيه (ت ٥٣هـ)[٦٢] أمر أبا أسود الدؤلي فوضع قواعد الشكل.[٦٣]

ونقل الحافظ عن الخطابي أنه ضَعَّف إسناده لانقطاعه، وقال: "وعلى تقدير أن يكون محفوظًا فمراده بجمعه: حفظه في صدره. قال: والذي وقع في بعض طرقه: "حتى جمعته بين اللوحين" وَهْمٌ من راويه. ا.هـ الفتح (٩/ ١٢-١٣).

وأخرجه ابن الضريس بسنده عن ابن سيرين عن عكرمة – فيما أحسب – قال: "لما كان بعد بيعة أبي بكر رضي الله عنه، قعد علي بن أبي طالب في بيته فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك. فأرسل إليه فقال: أكرهت بيعتي؟ فقال: لا والله. قال: ما أقعدك عني؟ قال: رأيت كتاب الله يُزاد فيه، فحدثتُ نفسي أن لا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه. فقال أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت...". (فضائل القرآن لابن الضريس ص ٧٦).

وهذا الإسناد مع التردد في تسمية عكرمة فيه، أو التردد في مضمون الرواية –كسابقه؛ وذلك أنه على فرض رواية ابن سيرين له عن عكرمة فإن عكرمة وُلد في سنة ٢٥ هـ.

(ينظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٢٩١)، وهذه الحادثة كانت سنة ١١ هـ. وفي متنه نكارة؛ وذلك في قوله: "رأيتُ كتاب الله يُزاد فيه..." !!. وفي سنده من رُمي بالتشيع!!.

وقد أخرجه ابن أبي شيبة بنحوه عن ابن سيرين، وفيه: "ولكن كان القرآن يُزاد فيه". (مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٥٤٥). والحاصل مما سبق أن هذا الأثر لا يصح، والله أعلم.

(٦٠) انظر: نثر الدرر (٥/ ١٨٢)، فضائل القرآن لابن كثير ص ٢٤، المزهر للسيوطي (٢/ ٣٩٧، ٣٩٨)، بحث بعنوان (أصول علم العربية في المدينة) لعبد العزيز الصاعدي، في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (١٠٥ – ١٠٦).

(٦١) هذا هو المشهور بين النحاة، وهذه القصة رواها أبو القاسم الزجاجي في أماليه بإسناد لا يثبت. انظر الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي (١/ ٢٦ – ٢٧).

(٦٢) زياد بن أبيه، أمير من الدهاة الفاتحين،من أهل الطائف، اختلفوا في اسم أبيه، فقيل: عُبيد الثقفي،وقيل: أبو

قال عثمان الداني (ت ٤٤٤هـ) : (٦٤) " اختلفت الرواية لدينا فيمن ابتدأ بنقط المصاحف من التابعين، فرُوينا أن المبتدئ بذلك كان أبا الأسود الدؤلي، وذلك أنه أراد أن يعمل كتابًا في العربية يُقَوِّمُ الناسُ به ما فسد من كلامهم، إذ كان قد نشأ ذلك في خواص الناس وعوامهم، فقال: أرى أن أبتدئ بإعراب القرآن أولاً. فأحضر من يُمسك المصحف، وأحضر صبغًا يُخالف لون المِداد، وقال للذي يمسك المصحف عليه: إذا فتحتُ فاي فاجعل نقطة فوق الحرف، وإذا كسرتُ فاي فاجعل نقطة تحت الحرف، وإذا ضممتُ فاي فاجعل نقطة أمام الحرف، فإن أَتْبَعْتُ شيئًا من هذه الحركات غُنَّة، يعني تنوينًا فاجعل نقطتين. ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف.

ورُوينا أن المبتدئ بذلك كان نصر بن عاصم الليثي [(ت ٨٩هـ)](٦٥) وأنه الذي خَمَّسَها وعَشَّرَها.

ورُوينا أن ابن سيرين كان عنده مصحف نَقَطَه يحيى بن يعمر [(ت ٨٩هـ)](٦٦)، وأنَّ يحيى أول من نَقَطَها... وأكثر العلماء على أن المُبتدِئ بذلك: أبو الأسود الدؤلي؛

سفيان، كان مولده سنة (١ هـ)، ووفاته سنة (٥٣ هـ). ميزان الاعتدال (٢/٨٦)، الأعلام (٣/٥٣).

(٦٣) راجع: الإتقان للسيوطي (٤/١٦٠- ١٦٢)، مناهل العرفان (١ / ٤٠٠).

(٦٤) عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الداني، مُقْرئ حافظ مُحدِّث مُفسِّر، وُلد سنة (٣٧١ هـ)، وتوفي بدانية سنة (٤٤٤هـ). شذرات الذهب (٣/ ٢٧٢)، معجم المؤلفين (٦/٢٥٤).

(٦٥) نصر بن عاصم الليثي، من أوائل واضعي النحو، توفي سنة (٨٩ هـ). البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص ٢٣٢)، الأعلام (٨/٢٤).

(٦٦) يحيى بن يعمر البصري العدواني، قيل: هو أول من نَقَط المصاحف، وُلد بالأهواز، وسكن البصرة، وبها توفي سنة (٨٩ هـ) وقيل: (١٢٩ هـ). سير أعلام النبلاء (٤/٤٤١)، الأعلام (٨/ ١٧٧).

جعل الحركات والتنوين لا غير، وأن الخليل بن أحمد [(ت ١٧٠هـ)] هو الذي جعل الهمز والتشديد والرَّوْم والإشمام" ا.هـ[٦٧].

وذهب بعضهم إلى أن الحجاج بن يوسف (ت ٩٥هـ) هو أول من أمر بنقط المصاحف وبتجزئتها.[٦٨]

ومن الجهود المبذولة بهذا المضمار في هذه المرحلة: أن يحيى بن يعمر (ت ٨٩ هـ) كتب مُؤَلَّفًا في "القراءة" جمع فيه اختلافات المصاحف المشهورة[٦٩].

وقيل: إن سعيد بن جبير رحمه الله (ت ٩٤ هـ)، وقيل: (٩٥ هـ) كتب تفسيرًا للقرآن لعبد الملك بن مروان (ت ٨٦ هـ) [٧٠] لما طلب منه ذلك [٧١].

وقد جاء في ترجمة عطاء بن دينار (ت ١٢٦هـ): " قال أحمد بن صالح [(ت ٢٤٨هـ)][٧٢]: ... وتفسيره فيما يروي عن سعيد بن جبير صحيفة... " [٧٣] ا.هـ.

وقال عبدالرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ): " سُئل أبي عن عطاء بن دينار فقال: هو صالح الحديث، إلا أنَّ التفسير أخذه من الديوان؛ فإن عبدالملك بن مروان كتب يسأل سعيد ابن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بن جبير بهذا

---

(٦٧) النقط للداني (ص ١٢٩)، وهو مطبوع مع كتاب المقنع للمؤلف نفسه.

(٦٨) راجع: المزهر للسيوطي (٣٩٨/٢)، مناهل العرفان (٣٩٩/١).

(٦٩) انظر: مقدمة تفسير ابن عطية (٣٥/١)، تهذيب التهذيب (٣٦٦/١١)، تاريخ التراث العربي (٢٢/١).

(٧٠) انظر: الطبقات الكبرى (١٦٥/٥)، المعارف (٤٤٥)، تاريخ بغداد (٣٨٨/١٠)، سير أعلام النبلاء (٢٤٦/٤)، تهذيب التهذيب (٣٧٣/٦)، شذرات الذهب (٩٧/١).

(٧١) انظر: الفهرست (٣٧).

(٧٢) أحمد بن صالح المصري، أبو جعفر، المعروف بابن الطبري، إمام حافظ، وُلد سنة (١٧٥ هـ)، وتوفي سنة (٢٤٨ هـ). تهذيب التهذيب (٣٤/١).

(٧٣) تهذيب التهذيب (٧/ ١٧٩).

التفسير إليه، فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير" ا.هـ[٧٤].

٢- القرن الثاني للهجرة: [٧٥]

في هذا القرن بدأت تكثر التآليف خاصة في التفسير والحديث؛ وإليك بعض المؤلفات التي

وُجدت في ذلك الوقت:

١ - التفسير لمجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ)[٧٦].

٢ - التفسير للضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥ هـ)[٧٧].

٣ - التفسير لعكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه (ت ١٠٧ هـ)[٧٨].

٤ - التفسير لمحمد بن كعب القرظي (ت١٠٨هـ)[٧٩].

٥ - (عد الآي)، و (نزول القرآن) للحسن البصري (ت ١١٠هـ)[٨٠].

---

(٧٤) الجرح والتعديل (٣٣٢/٦)، معرفة القراء الكبار (٦٨/١)، تذكرة الحفاظ (٧٦/١)، طبقات المفسرين للداوودي (١٨٨/١).

(٧٥) لمزيد من الفائدة انظر: الفهرس الشامل للتراث (١٧/١-٢١).

(٧٦) انظر: المعارف (٤٤٤)، تذكرة الحفاظ (ص ٩٢/١)، غاية النهاية (٤١/٢)، كشف الظنون (٤٥٨/١)، تاريخ التراث (٧٠/١).

(٧٧) انظر: سير أعلام النبلاء (٥٩٨/٤)، تهذيب التهذيب (٣٩٧/٤)، طبقات المفسرين للداوودي (ص٤٧/٢)، كشف الظنون (٤٥٢/١)، معجم المؤلفين (٥/ ٢٧)، تاريخ التراث العربي (٧١/١، ٧٢).

(٧٨) انظر: طبقات المفسرين للداوودي (٣٨٦/١)، كشف الظنون (٤٥٣/١).

(٧٩) انظر: سير أعلام النبلاء (٦٥/٥)، المعارف (٤٥٨)، تهذيب التهذيب (٣٧٣/٩)، كشف الظنون (٤٥٧/١).

(٨٠) انظر المعارف (٤٤٠)، الفهرست (ص٣٦)، تذكرة الحفاظ (٧١/١)، غاية النهاية (٢٣٥/١)، تهذيب

٦ - التفسير لعطاء بن أبي رباح (ت١١٤هـ)[٨١].

٧ - (عواشر القرآن) و (الناسخ والمنسوخ) لقتادة السدوسي (ت١١٧هـ، وقيل: ١١٨هـ)[٨٢].

٨ - (اختلافات مصاحف الشام والحجاز والعراق، و(المقطوع والموصول) لعبدالله بن عامر اليحصبي (ت١١٨هـ)[٨٣].

٩ - تفسير القرآن ليحيى بن سلاّم، (ت٢٠٠)[٨٤].

وغير هؤلاء كثير كشعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ)، وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨هـ)، ووكيع بن الجراح (ت ١٩٧هـ)، وعبدالملك بن جُريج (ت ١٥٠هـ)، وعبدالله بن وهب (ت ١٩٧هـ)[٨٥].

التهذيب (٢٤٠/٥)، كشف الظنون (٤٤٦/١)، تاريخ التراث (٢٥،٧٢/١).

(٨١) انظر: المعارف (٤٤٤)، تذكرة الحفاظ (٩٨/١)، البداية والنهاية (٣٠٦/٩)، تهذيب التهذيب (١٧٩/٧)، كشف الظنون (٤٥٣/١)، تاريخ التراث العربي (٧٣،٧٤/١).

(٨٢) انظر: الطبقات الكبرى (٧/قسم٢/ص١)، تهذيب التهذيب (٣١٥/٨)، معجم الأدباء (٩/١٧)، تذكرة الحفاظ (١٢٢/١)، البداية والنهاية (٣١٣/٩)، غاية النهاية (٢٥/٢)، كشف الظنون (٤٥٦/١)، تاريخ التراث العربي (١/ ٢١، ٧٥).

(٨٣) عبدالله بن عامر بن يزيد، أبو عمران اليحصبي الشامي، أحد القراء السبعة، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، ولد بالبلقاء سنة (٨هـ)، وتوفي في دمشق سنة (١١٨هـ). سير أعلام النبلاء (٢٩٢/٥)، الجرح والتعديل (١٢٢/٥)، الفهرست (٣١، ٣٩)، الميزان (٢/ ٤٤٩).

(٨٤) أبو زكريا يحيى بن سلاّم بن أبي ثعلبة البصري التيمي مولاهم، وُلد سنة (١٢٤هـ)، سكن القيروان، ثم انتقل إلى مصر، وبها توفي بعد أن حج في صفر سنة (٢٠٠هـ).

قال أبو عمرو الداني: "سكن إفريقية دهرًا، وسمعوا منه تفسيره الذي ليس لأحد من المتقدمين مثله..." ا.هـ. انظر سير أعلام النبلاء (٣٩٦/٩).

(٨٥) هو عبدالله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء المصري، أبو محمد، فقيه من أصحاب مالك رحمه الله، وُلد

وكان الغالب في التأليف في ذلك العصر الرواية والنقل، وربما أُدمج التفسير بغيره من الحديث في كتاب واحد.

هذا وقد ذكرت ما مضى من المؤلفات من أجل التمثيل فقط، وإلا فالتآليف في ذلك الوقت أكثر مما ذكرت بكثير.

٣- القرن الثالث للهجرة: [(٨٦)]

في هذا القرن اتسعت دائرة التأليف، ونمت عمّا كانت عليه في السابق نموًّا ملموسًا، وإليك بعض ما كُتب آنذاك في التفسير وتوابعه:

١ - (الناسخ والمنسوخ) لعبد الوهاب الخَفَّاف (ت ٢٠٤ هـ)[(٨٧)].

٢ - (الناسخ والمنسوخ) لحجاج الأعور (ت٢٠٦ هـ)[(٨٨)].

٣ - (إعراب القرآن) لعبد الملك بن حبيب القرطبي (ت٢٣٨هـ)[(٨٩)].

٤ - (إعراب القرآن) لأبي حاتم، سهل بن محمد السجستاني (ت٢٤٨هـ)[(٩٠)].

سنة (١٢٥ هـ)، وتوفي سنة (١٩٧ هـ). سير أعلام النبلاء (٩/٢٢٣)، الأعلام (٤/١٤٤).

(٨٦) للاستزادة انظر: الفهرس الشامل للتراث (١/٢٥-٣١)، كتاب مناهل العرفان للزرقاني (دراسة وتقويم) (١/٢٢٠).

(٨٧) هو عبد الوهاب بن عطاء الخَفَّاف، أبو نصر العجلي مولاهم البصري، نزيل بغداد، توفي سنة (٢٠٤ هـ)، وقيل: غير ذلك. سير أعلام النبلاء (٩/٤٥١)، التقريب (١/ص٥٢٨)، تذكرة الحفاظ (١/٣٣٩)، تهذيب التهذيب (٦/٣٩٨)، طبقات المفسرين للداوودي (١/٣٦٩).

(٨٨) هو حجاج بن محمد المصيصي الأعور، أبو محمد، الترمزي الأصل، نزل بغداد ثم المصيصة، توفي سنة (٢٠٦ هـ). التقريب (١/١٥٤)، الفهرست (٤٠)، تاريخ بغداد (٨/٢٣٦)، تهذيب التهذيب (٢/١٨٠)، طبقات المفسرين للداوودي (١/١٣١).

(٨٩) عبدالملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الألبيري القرطبي، أبو مروان، عالم الأندلس في زمانه، ولد في ألبيرة سنة (١٧٤هـ)، وسكن قرطبة، وتوفي فيها سنة (٢٣٨هـ). سير أعلام النبلاء (١٢/١٠٢)، كشف الظنون (١/١٢٣).

٥ - (إعراب القرآن) لأبي العباس المُبَرِّد (ت٢٨٦هـ)[٩١].

٦ - (إعراب القرآن) لأبي العباس ثعلب (ت٢٩١هـ)[٩٢].

وغيرهم كثير، كعبد الرازق الصنعاني (ت٢١١هـ) فقد ألَّف في (التفسير)، وأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) في (القراءات)، و (الناسخ والمنسوخ)، و (فضائل القرآن)، وعلي بن المديني (ت٢٣٤هـ) حيث ألَّف في (أسباب النزول)، وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) في مشكل القرآن... إلخ.

٤- القرن الرابع للهجرة: [٩٣]

وفي هذا القرن ازدهر التأليف ازدهارًا ظاهرًا في جميع العلوم، وتَفَنَّن فيه العلماء بالتصنيف والتأليف، وكثر ذلك واتسع، حتى غدا من العسير على الباحث أن يجمع ما كُتب في ذلك القرن في نوع واحد من العلوم فضلاً عن جميعها.

وسوف أكتفي بذكر بعض الأمثلة من المؤلفات في التفسير وعلومه، دون الإطالة بتعداد التآليف التي لا يمكن حصر جانب منها كما أسلفت.

وإليك ما وعدت: [٩٤]

١ - (الحاوي في علوم القرآن) لمحمد بن خلف بن المَرْزُبَان (ت ٣٠٩هـ)[٩٥].

---

(٩٠) أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، إمام في اللغة والشعر، من أهل البصرة، توفي سنة (٢٤٨هـ). سير أعلام النبلاء (١٢/٣٦٨)، كشف الظنون (١/١٢٣).

(٩١) انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٥٧٦)، كشف الظنون (١/١٢٣).

(٩٢) العَلَّامة المحَدِّث، إمام النحو، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني، مولاهم البغدادي، وُلِد سنة (٢٠٠هـ)، وقد عُمِّر، وأَصَم، توفي سنة (٢٩١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/٥)، كشف الظنون (١/١٢٣).

(٩٣) للاستزادة راجع: الفهرس الشامل للتراث (١/ ٣٥-٣٦).

(٩٤) الكتب الثلاثة الأولى التي ستأتي قصدت إيرادها هنا لبيان موضوعها؛ لأنه قد يُتوهم أنها مؤلفات في موضوع علوم القرآن حسب الاصطلاح المتأخر، وليست كذلك.

٢ - (الاستغناء في علوم القرآن) لمحمد بن علي الأدفوي (ت٣٨٨هـ)[٩٦].

٣ - (تفسير القرآن) لأبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ)[٩٧].

وهذا الكتاب قال عنه مؤلفه: "وألفنا كتاب تفسير القرآن، رددنا فيه على أبي علي الجُبَّائي (ت٢٣٥هـ)[٩٨] ومحمد بن خلف البلخي(ت٣٠٩هـ)[٩٩] ما حرَّفا من تأويله" ا.هـ[١٠٠].

---

(٩٥) محمد بن خلف بن المرْزُبَان، هو ابن بسام، أبو بكر المحَوَّلِيُّ، مؤرخ مترجم عالم بالأدب، توفي سنة (٣٠٩هـ). الفهرست (ص٩٥، ١٦٦، ١٦٧)، تاريخ بغداد (٢٣٧/٥)، تذكرة الحفاظ (٧٥٧/٢)، طبقات الداوودي (١٤٦/٢).

ويقع هذا الكتاب في (٢٧) جزءًا، ولم يتم العثور عليه إلى اليوم، والذي يظهر أنه كتاب في التفسير.

(٩٦) محمد بن علي الأدفوي، نحوي مفسر، من أهل أدفو بصعيد مصر الأعلى، كان يبيع الخشب في القاهرة، وُلد سنة (٣٠٤هـ)، وتوفي سنة (٣٨٨هـ) في القاهرة. غاية النهاية (١٩٨/٢، ٢٨٠)، معجم البلدان (١/ ١٦٩)، طبقات المفسرين للسيوطي (٩٧)، كشف الظنون (٤٤١/١،٧٩).

قال الداوودي في طبقاته (١٩٧/٢): "وله كتاب في تفسير القرآن سماه "الاستغناء" في مائة وعشرين مجلدًا، صنفه في اثنتي عشرة سنة" ا.هـ. وعنوانه في تاريخ التراث: " الاستغناء في علوم الدين". وذكر له سزكين - في تاريخ التراث (١٠٧/١)- نسخة غير مكتملة في مكتبة سليم آغا برقم (٦٣). وتوجد له نسخة أخرى في مكتبة الإسكندرية برقم (٣٥٩٩) وانظر: الفهرس الشامل للتراث (٦٢/١).

وقد قام أحد الباحثين بعمل دراسة على هذا الكتاب، وتحقيق سورة الفاتحة منه، في رسالة ماجستير، في جامعة الإمام عام (١٤٠٥ هـ).

(٩٧) انظر: سير أعلام النبلاء (٨٨/١٥).

(٩٨) أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي البصري، من أئمة المعتزلة بالبصرة، وُلد سنة (٢٣٥هـ)، وتوفي سنة (٣٠٣هـ). شذرات الذهب (٢٤١/٢).

(٩٩) أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي، من كبار المعتزلة، توفي سنة (٣١٩هـ) وقيل: سنة (٣١٧هـ). تاريخ بغداد (٣٨٤/٩).

(١٠٠) تبيين كذب المفتري (ص١٣٤).

وقد ظن بعض الفضلاء أن اسم هذا الكتاب (المُخْتَزَن في علوم القرآن)، ولا أظن هذا الظن صحيحًا؛ لأن كتاب المُخْتَزَن في موضوع آخر تمامًا، إذ يقول عنه مؤلفه: "وألفنا كتابًا في ضروب من الكلام سميناه (المُخْتَزَن)، ذكرنا فيه مسائل للمخالفين لم يسألونا عنها، ولا سطروها في كتبهم، ولم يَتَّجِهوا للسؤال، وأجبنا عنها بما وفقنا الله تعالى له" ا.هـ(١٠١).

ثم رأيت محمد الداوودي (ت ٩٤٥هـ)(١٠٢) – رحمه الله – سماه (المُخْتَزَن في علوم القرآن)!! وقال عنه: "... كتاب عظيم جدًّا، بلغ فيه سورة الكهف، وقد انتهى مائة جزء، وقيل: إنه أكبر من هذا... " ا.هـ(١٠٣). فالله تعالى أعلم.

٤ - (جامع البيان في تفسير القرآن) لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، وهو مطبوع ومشهور.

وبما سبق تكون قد عرفت المراحل التي مر بها هذا العلم حتى دُوِّن حسب مفهومه الاصطلاحي الذي مر معنا.

ثم تتابع التأليف في كل الفروع والمباحث المتعلقة بالقرآن الكريم، سواء أكان ذلك بطريقة الإفراد لها في التأليف، أم كان ذلك بضم بعضها إلى بعض، وجعلها في كتاب واحد.

ونظرًا لكثرة المؤلفات المختلفة في علوم القرآن، وإتمامًا للغرض الذي من أجله تعرضنا لهذه القضية - وهو التعريف بالأطوار التي مرت بها علوم القرآن بمفهومه

---

(١٠١)تبيين كذب المفتري (ص١٣٣).

(١٠٢) محمد بن علي بن أحمد الداوودي المصري، حافظ مفسر، أخذ عن السيوطي، توفي سنة (٩٤٥هـ). شذرات الذهب (٢٦٤/٨)، معجم المؤلفين (٣٠٤/١٠).

(١٠٣) طبقات المفسرين للداوودي (٣٩٨/١)، وانظر: كشف الظنون (٤٤٠/١).

الشامل – لا أرى حاجة للاستمرار في تعداد المؤلفات التي وُضعت لمعالجة مبحث خاص من مباحثه ؛ بل سوف أكتفي بذكر بعض المؤلفات التي جمعت جملة من علومه فأقول :

صَنَّف الإمام عبدالرحمن ابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ) رحمه الله كتابين في هذا الموضوع، الأول منهما هو : (فنون الأفنان في عيون علوم القرآن)، وهو مطبوع. والآخر وهو كتاب (المُجتبَى في علوم تتعلق بالقرآن)، وهو مخطوط[١٠٤].

ثم جاء عَلَم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ) فألف (جمال القراء وكمال الإقراء)، وهو مطبوع متداول.

ثم يتبعه عبدالرحمن أبو شامة(ت٦٦٥هـ) رحمه الله فصنف كتاب (المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز) وخصه ببعض مهمات هذا العلم، دون التعرض لغيرها. وهو مطبوع أيضًا.

بعد ذلك جاء سليمان الطوفي (ت٧١٦هـ) فألف كتاب "الإكسير في علوم التفسير" وقد طُبع أيضًا.

ثم جاء بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) فألف "البرهان في علوم القرآن" وهو مطبوع ومشهور أيضًا.

وبعده ألف جلال الدين البُلْقيني[١٠٥] (ت٨٢٤هـ) كتاب "مواقع العلوم من مواقع النجوم"، وقد قال عنه السيوطي : " فرأيته تأليفًا لطيفًا، ومجموعًا طريفًا، ذا ترتيب وتقرير، وتنويع وتحبير" ا.هـ[١٠٦].

---

(١٠٤) انظر الفهرس الشامل للتراث (٢١٢/١).

(١٠٥) عبدالرحمن بن عمر بن رسلان الكناني البلقيني، وُلد سنة (٧٦٣هـ) وتوفي سنة (٨٢٤هـ). شذرات الذهب (١٦٦/٧)، معجم المؤلفين (١٦٠/٥).

وفي القرن نفسه ألف محمد بن سليمان الكَافِيَجي (ت٨٧٣)كتابًا في هذا الموضوع قال عنه السيوطي بعد وقوفه عليه: فإذا هو صغير الحجم جدًّا، وحاصل ما فيه بابان... فلم يَشْفِ لي ذلك غليلاً، ولم يهدني إلى المقصود سبيلاً" ا.هـ(١٠٧)

بعد ذلك كله طَالَعَنَا السيوطي (ت ٩١١ هـ) بكتابه (التحبير في علوم التفسير) أولاً، ثم كتابه الموسوعي (الإتقان في علوم القرآن)(١٠٨).

ثم جاء بعده شمس الدين الحنفي، المعروف بابن عَقِيْلَة (ت ١١٥٠هـ)(١٠٩) فألف كتاب "الزيادة والإحسان في علوم القرآن".(١١٠)

ثم ضعُف التأليف في هذا المجال عمَّا كان عليه، حتى جاء هذا العصر الذي ظهرت فيه كثير من المؤلفات في هذا الموضوع، منها كتاب (التبيان في علوم القرآن)(١١١)، للشيخ طاهر الجزائري (ت ١٣٣٨هـ)(١١٢). وكتاب"منهج الفرقان في علوم القرآن" لمحمد علي سلامة (ت ١٣٦٢هـ)(١١٣)، وكتاب "مناهل العرفان في علوم

---

(١٠٦) الإتقان (١/٥).

(١٠٧) الإتقان (١/٤)، والمقصود كتاب: " التيسير في قواعد علم التفسير " وهو مطبوع.

(١٠٨) وهما مطبوعان. وله رسالة مختصرة في أصول التفسير، وقد وضع عليها شرحًا مختصرًا، وهي ضمن كتابه (النقاية)، وقد طُبعت مُفردة، وهي في علوم القرآن.

(١٠٩) وهو محمد بن أحمد بن سعيد بن مسعود الحنفي، المكي، الشهير بابن عقيلة، مُحَدِّث، مؤرِّخ، وُلد بمكة، وبها توفي سنة (١١٥٠هـ). معجم المؤلفين (٨/٢٦٤).

(١١٠) وقد طبعته جامعة الشارقة.

(١١١) وهو مختصر لكتاب الإتقان للسيوطي.

(١١٢) طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري، ثم الدمشقي، كان من أعضاء المجمع اللغوي العلمي العربي، وأجاد أكثر اللغات الشرقية، مولده سنة (١٢٦٨هـ)، ووفاته سنة (١٣٣٨هـ). الأعلام (٣/٢٢١-٢٢٢).

(١١٣) عالم مشارك في علوم القرآن والمنطق والمناظرة، وُلِد في بلدة زُرقان بمصر، وتَخَرَّج بالأزهر، ودرَّس بكلية أصول الدين بالأزهر، توفي سنة (١٣٦٢ هـ). معجم المؤلفين (١١/١٣).

القرآن" لمحمد ابن عبدالعظيم الزُرقاني، وكتاب "مباحث في علوم القرآن" لصبحي الصالح (ت ١٤٠٧هـ)، وكتاب "مباحث في علوم القرآن" لمناع القطان (ت ١٤٢٠هـ)، وكتاب "التعريف بالقرآن والحديث" لمحمد الزفزاف (ت ٢٠٠١م)، وكتاب "علوم القرآن" لمحمد الصباغ، وغيرها كثير.]

وهكذا قويت العزائم، وتبارت الهمم، ونشأت علوم جديدة للقرآن.

وظهرت مؤلفات في كلّ نوع منها، سواء في ذلك أقسام القرآن، وأمثال القرآن، وحجج القرآن، وبدائع القرآن، ورسم القرآن، وما أشبهها مما يروعك تصوُّره بَلْهَ الاطلاع عليه، ومما يملأ خزائن كاملة من أعظم المكتبات في العالم. ثم لا يزال المؤلفون إلى عصرنا هذا يزيدون، وعلوم القرآن ومؤلفاته تَنْمى وتزدهر وتزيد، بينما الزمان يفنى والعالم يبيد! أليس إعجازًا آخر للقرآن؟ يريك إلى أي حدّ بلغ علماء الإسلام في خدمة التنزيل. ويريك أنه كتاب لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي معارفه، ولن يستطيع أن يحيط بأسراره إلا صاحبه ومُنزلُه!

وإذا أضفت إلى علوم القرآن ما جاء في الحديث النبوي الشريف وعلومه وكتبه وبحوثه باعتبارها من علوم القرآن، نظرًا إلى أنّ الحديث شارح للقرآن يبيِّن مبهماته، ويفصِّل مجملاته، ويخصِّص عامّه، كما قال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، أقول: إذا أضفت الحديث النبوي وعلومَه إلى علوم القرآن، تراءَى لك بحرٌ متلاطم الأمواج. فإذا زدت عليها سائر العلوم الدينية والعربية باعتبارها خادمةً للقرآن أو مُسْتَمَدةً منه، رأيت نفسك أمام مؤلفات كالجبال، وموسوعات تُكَاثِر الرمال، ولا يسعك حينئذ إلا أن تردِّد قول الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.[آل عمران: ٧].

وتـزداد عجبًـا إذا علمـت أنّ طريقـة أُولئـك المـؤلفين في تـأليفهم، كانـت طريقـة استيعاب واستقصاء، يَعْمِدُ أصحابها أن يحيطوا بجزئيات القرآن من الناحية الـتي كتبوا فيها بقدر طاقتهم البشرية، فمن يكتب في غريب القرآن -مثلاً- يذكر كلّ مفرد من مفردات القرآن التي فيها غرابةٌ وإبهام، ومن يكتب في مجاز القرآن يقتفي أثر كل لفظ فيه مجازٌ أيًّا كان نوعُه في القرآن، ومن يكتب في أمثال القرآن يتحدَّث عن كلّ مثل ضربه الله في القرآن، وهكذا سائر أنواع علوم القرآن، ولا ريب أن تلك المجهودات الجبارةَ لا يتهيَّأُ لإنسانٍ أن يحيط بها ولو أفنى عمره، واستنفد وسعه!

لهذا اشْرَأَبَّتْ أعناقُ العلماء أن يعتصروا من تلك العلوم علمًا جديدًا يكون كالفهرس لها، والدليلِ عليها، والمتحدِّث عنها. فكان هذا العلم هو ما نسميه (علوم القرآن) بالمعنى المُدَوَّن.

] وبما سبق تكون قد عرفت أن هذه المباحث المجتمعة لم تكن قد أخذت وضعًا مستقلاً في أوائل عهود التأليف، بل كانت مفرقة في كتب التفسير والحديث والأصول، أو كان التأليف يقتصر على جزئية أو نوع خاص من أنواع العلوم المتعلقة بالقرآن.

ذلك إضافة إلى ما سار عليه عدد من المفسرين – قديمًا وحديثًا – حيث صدَّروا مصنفاتهم في التفسير بمقدمات تشتمل على جوانب مختلفة من علوم القرآن، كما فعل الإمام ابن جرير، والراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، والقرطبي، وعبدالحق بن عطية (ت ٥٤٢هـ)، والسيوطي، الذي صنَّف كتابه الإتقان ليكون مدخلاً إلى تفسيره الذي شرع في تأليفه ولم يتمه "مجمع البحرين"[١١٤] ومثلهم كذلك محمد القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، ومحمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ).

---

(١١٤) اسم هذا الكتاب "مجمع البحرين ومطلع البدرين": قال عنه في الإتقان: "وقد جعلته – أي الإتقان – مقدمة للتفسير الكبير الذي شرعت فيه، وسميته بمجمع البحرين ومطلع البدرين الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية" ا.هـ. الإتقان (١/١٤).

والحاصل أن التأليف في علوم القرآن بالمعنى المُتَعَارف جاء متأخرًا عن التأليف في نظائره من قواعد العلوم وأصولها وضوابطها..كعلم النحو، ومصطلح الحديث، وأصول الفقه.

قال السيوطي رحمه الله: "ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يُدَوِّنوا كتابًا في أنواع علوم القرآن، كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث" ا.هـ[١١٥].

وقال في مقدمته لكتاب التحبير: "وإن مما أهمل المتقدمون تدوينه، حتى تحلى في آخر الزمان بأحسن زينة: علم التفسير، الذي هو كمصطلح الحديث" ا.هـ[١١٦].

المقدمة الرابعة: في الكلام على أول ما أُلِّفَ في هذا الفن

(حسب الاصطلاح المتأخر)

الكلام على أول ما أُلِّف في علوم القرآن بمعناه المصطلح عليه

ليس من السهل أن نحكم على كتابٍ مًّا بأنه أول ما أُلف في علوم القرآن، وإنما يمكننا أن نذكر أول كتاب وقفنا عليه في هذا الشأن.

وقد ذهب الكافيجي (ت٨٧٩هـ) إلى أنه هو أول من دوَّن كتابًا في هذا الموضوع كما نقل ذلك عنه السيوطي[١١٧].

واختار السيوطي القول بأن كتاب "مواقع العلوم من مواقع النجوم" الذي ألفه جلال الدين البلقيني (ت٨٢٤هـ) هو أول ما أُلِّف في هذا الشأن[١١٨].

---

(١١٥) الإتقان (٤/١).

(١١٦) التحبير (ص٢٨).

(١١٧) انظر: الإتقان (٤/١).

(١١٨) انظر الإتقان (٦/١)، التحبير (ص٢٨).

وهذا مُسْتَغْرَب منه مع قوله في مقدمة الإتقان – بعد أن تقرر ما سبق -:

"ومن المصنفات في هذا النمط – وليس في الحقيقة مثله (أي الإتقان) ولا قريبًا منه، وإنما هي طائفة يسيرة، ونبذة قصيرة – فنون الأفنان في علوم القرآن لابن الجوزي، وجمال القراء للشيخ عَلَم الدين السخاوي، والمرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز لأبي شامة... "ا.هـ[١١٩]. مما يدل على أنه وقف على هذه الكتب وهي متقدمة على كتاب البُلْقِيني.!!

ذلك وقد اختلفت أنظار المعاصرين في تحديد المُجلِّي[١٢٠] في هذا الشأن، فذهب بعضهم إلى أنه علي الحوفي (ت٤٣٠هـ)[١٢١] في كتابه البرهان[١٢٢].

وهذا الكتاب يقع في ثلاثين مجلدًا!! وقد وقفت على بعضه[١٢٣]، وبعد النظر فيه أَلفَيتُه كتابًا من كتب التفسير، وطريقته في تفسيره: أنه يُورِد الآيات القرآنية، ثم يتكلم على الإعراب، والوقف والتمام، وما تضمنته الآيات من فوائد، ثم تجده يقول: القول في القراءة.. ثم يقول: القول في المعنى والتفسير.. وهكذا. فهو كتاب تفسير مُرَتَّب على نحو ما سبق[١٢٤].

---

(١١٩) الإتقان (١/١٨).

(١٢٠) المجَلِّي يطلق على السابق الأول في حلبة الخيل. انظر القاموس مادة (الجلي) (ص١٦٤١).

(١٢١) هو علي بن إبراهيم بن سعيد أبو الحسن الحوفي، من أهل الحوف بمصر، توفي سنة (٤٣٠هـ). سير أعلام النبلاء (١٧/٥٢١).

(١٢٢) انظر مناهل العرفان (١/٢٦، ٢٧)، مباحث في علوم القرآن للقطان (ص١٤).

(١٢٣) وهو من خزائن المكتبة الوطنية بتونس، ورقمه (١٨٤٨٧)، وهو ضمن مصورات مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية، ورقمه: (٣٧٩٥/ف).

(١٢٤) وانظر أيضًا كلام الزرقاني عنه في مناهل العرفان (١/٢٨).

وقد ذهب آخرون إلى أن أول ما أُلِّف في هذا الشأن هو كتاب ابن المَرزُبان (ت٣٠٩هـ) المسمى بـ "الحاوي في علوم القرآن"[(١٢٥)].

وهذا الكتاب يقع في سبعة وعشرين جزءًا، مما يدل على أنه كتاب في التفسير، لا ما نحن فيه، والله أعلم.

واختار بعض المعاصرين أن كتاب البرهان للزركشي (ت ٧٩٤هـ) هو المتقدم في هذا الشأن[(١٢٦)]. وهذا بعيد غاية البعد، إذ هو مسبوق قطعًا، وبقرون عدة.

والحاصل أنه من المُتَعَذِّر القول بأن كتابًا بعينه هو أول ما كُتب في هذا الفن كما أسلفت؛ لكن الأحسن أن يُقال: أول ما وقفنا عليه من مؤلفات هذا الفن[(١٢٧)].

الخاتمة

تبين لنا من خلال هذا البحث ما تميز به كتاب (مناهل العرفان) على غيره من المؤلفات في هذا الشأن، كما تبين معنى (علوم القرآن)، وموضوعه، وفائدته، وأهميته، وغايته.

وقد تعرفنا – أيضًا – على الأطوار والمراحل التي مرَّ بها هذا العلم منذ العهد النبوي، ومرورًا بعهد الخلفاء الراشدين، وما بعد ذلك إلى نهاية القرن الأول الهجري، وما لقيه القرآن وعلومه من عناية بالغة تليق بمكانته، وأن الكتابة في بعض

(١٢٥) انظر: مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح (ص١٢٤).

(١٢٦) وهو محمد أبو الفضل إبراهيم، كما في مقدمته على الإتقان (١/٧).

(١٢٧) تنبيه: ذهب بعضهم إلى القول بأن كتاب عجائب علوم القرآن المنسوب لابن الأنباري هو أول المؤلفات في هذا الشأن. والصواب أن الكتاب المذكور لا تصح نسبته لابن الأنباري، بل هو كتاب فنون الأفنان لابن الجوزي، ويُعرف هذا بالمقارنة بينهما، وبدلائل لا مجال لذكرها في هذا الموضع.

الموضوعات المتعلقة بالقرآن الكريم قد بدأت منذ وقت مبكر – في القرن الأول الهجري – خلافًا لما هو مشهور لدى كثير من الكاتبين في هذا الباب.

ثم اتسعت دائرة الكتابة في ذلك في القرن الثاني الهجري، ثم تشعبت وازدادت في القرن الثالث الهجري فما بعده.

وقد ظهرت في القرن الرابع الهجري مؤلفات تحمل مسمى (علوم القرآن)، وإن لم تكن تحوي في مضمونها ما نحن بصدد الكتابة عنه.

بعد ذلك تتابع العلماء في التأليف والكتابة، ووُجِدَت مؤلفات كثيرة ومتنوعة في علوم القرآن، منها ما هو مختصر، ومنها ما هو مُوَسَّع، ومنها ما هو بين ذلك.

وقد اختلفت أنظار العلماء في أول من وضع مُؤَلَّفًا في هذا الفن، ولكن من الصعب أن نجزم لأحد بعينه أنه صاحب أوَّلِيَّة مُطْلَقة في ذلك؛ لأننا لم نُحِط بكل ما أُلِّف، لكن غاية ما هنالك أن يُقال: أول ما وقفنا عليه من المؤلفات كذا. والله تعالى أعلم.

فهرس المصادر والمراجع

[١] *إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر:* أحمد بن محمد البنا (١١١٧هـ). تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).

[٢] *الإتقان في علوم القرآن:* جلال الدين السيوطي (٩١١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (١٤٠٧هـ).

[٣] *أحكام القرآن:* أحمد بن علي الجصاص (٣٧٠هـ). تحقيق: محمد صادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤٠٥هـ).

[٤] *الاستقامة:* أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (٧٢٨هـ). تحقيق: محمد رشاد سالم، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).

[٥] *الأشباه والنظائر في النحو:* عبدالرحمن بن الكمال السيوطي (٩١١هـ). تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (١٣٩٥هـ).

[٦] *أصول التفسير وقواعده:* خالد عبدالرحمن العك (١٤٢٠هـ)، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٦هـ).

[٧] *الأعلام:* خير الدين الزركلي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، (١٩٨٠م).

[٨] *البداية والنهاية:* الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية، (١٩٧٧م).

[٩] *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:* محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ). تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

[١٠] *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:* جلال الدين السيوطي (٩١١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان.

[١١] *البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة:* محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ). تحقيق: محمد المصري، الطبعة الأولى، نشر: جمعية إحياء التراث الإسلامي (مركز المخطوطات والتراث)، الكويت، (١٤٠٧هـ).

[١٢] *تاج العروس:* السيد محمد مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ). (لا يوجد معلومات عن الطبعة).

[١٣] *تاريخ التراث العربي:* فؤاد سزكين. ترجمة: محمود فهمي حجازي، طبع: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، (١٤٠٣هـ).

[١٤] *تاريخ بغداد:* أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

[١٥] *تاريخ مدينة دمشق:* علي بن الحسن ابن عساكر (٥٧١هـ). تحقيق: علي شيري، دار الفكر.

[١٦] *تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري:* أبو القاسم ابن عساكر (٥٧١هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٣٩٩هـ).

[١٧] *التحبير في علم التفسير:* عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ). تحقيق: فتحي فريد، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، (١٤٠٦هـ).

[١٨] *تذكرة الحفاظ:* محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ)، دار الفكر العربي، بيروت.

[١٩] *التعريفات:* علي بن محمد الجرجاني (٨١٦هـ). تحقيق: عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).

[٢٠] *تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن):* محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ). تحقيق: محمود شاكر[١٢٨].

[٢١] *تفسير القرآن العزيز:* محمد بن عبدالله الإلبيري ابن أبي زمنين (٣٩٩هـ). تحقيق: حسين عكاشة، محمد مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤٢٣هـ).

---

(١) ملحوظة: اعتمدت الطبعة التي حققها محمود شاكر، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية. ولما كانت تنتهي عند آية (٢٧) من سورة إبراهيم، اعتمدت فيما بعد ذلك طبعة الحلبي بمصر، وهي الطبعة الثالثة للكتاب (عام ١٣٨٨هـ).

[٢٢] *التفسير الكبير:* فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثالثة.

[٢٣] *تفسير كتاب الله العزيز:* هود بن محكم الهُوَّاري (حوالي ٢٨٠هـ). تحقيق: بلحاج سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، (١٩٩٠م).

[٢٤] *تقريب التهذيب:* أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ). تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٥هـ).

[٢٥] *التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد:* يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر (٤٦٣هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

[٢٦] *تهذيب الأسماء واللغات:* محي الدين بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

[٢٧] *تهذيب التهذيب:* أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت، الأولى، (١٤٠٤هـ).

[٢٨] *تهذيب الكمال في أسماء الرجال:* جمال الدين المزِّي (٧٤٢هـ). تحقيق: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٠هـ).

[٢٩] *تهذيب اللغة:* محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠هـ). تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، (٢٠٠١م).

[٣٠] *تهذيب سيرة ابن هشام:* عبدالسلام هارون (١٤٠٨هـ)، دار الفكر، دمشق.

[٣١] *الجامع لأحكام القرآن:* محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٩٦٧م).

[٣٢] *الجرح والتعديل:* عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، مصور عن: الطبعة الأولى، (١٢٧١هـ)، والتي صدرت عن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند.

[٣٣] *خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال:* أحمد بن عبدالله بن أبي الخير الخزرجي (بعد ٩٢٣هـ). راجعه: محمود غانم غيث، مطبعة الفجالة الجديدة، (١٣٩٢هـ).

[٣٤] *ديوان حسان بن ثابت، تحقيق:* عبد أ. مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠٦هـ).

[٣٥] *زاد المعاد في هدي خير العباد:* محمد بن أبي بكر الدمشقي (ابن القيم) (٧٥١هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية، (١٤٠١هـ).

[٣٦] *سير أعلام النبلاء:* شمس الدين الذهبي (٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ).

[٣٧] *السيرة النبوية:* عبدالملك بن هشام الحميري (٢١٣هـ). تحقيق: مصطفى السقا وزملائه، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، (١٣٧٥هـ).

[٣٨] *شذرات الذهب في أخبار من ذهب:* عبدالحي بن العماد الحنبلي (١٠٨٩هـ)، نشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

[٣٩] شرح *القصائد المشهورات:* أحمد بن محمد المرادي النحوي (٣٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).

[٤٠] شرح *الكوكب المنير*: محمد بن أحمد الفتوحي (٩٧٢هـ). تحقيق: محمد الزحيلي، نزيه حماد، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، نشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي، مكة المكرمة، (١٤٠٠هـ).

[٤١] *الصِّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ).* *تحقيق:* أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٤هـ).

[٤٢] صحيح *مسلم*: مسلم بن الحجاج القشيري (٢٦١هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، استانبول.

[٤٣] *الطبقات الكبرى*: محمد بن سعد، دار التحرير، القاهرة، (١٣٨٨هـ).

[٤٤] *طبقات المفسرين*: جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ).

[٤٥] *طبقات المفسرين*: محمد بن علي الداوودي (٩٤٥هـ)، نشر: دار الباز، مكة المكرمة، طبع: دار الكتب العلمية، بيروت.

[٤٦] *العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير*: محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ). تحقيق: خالد بن عثمان السبت، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، (١٤٢٦هـ).

[٤٧] *غاية النهاية في طبقات القراء*: لابن الجزري (٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية.

[٤٨] *الفائق في غريب الحديث والأثر*: محمود بن عمرو الزمخشري (٥٣٨هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية.

[٤٩] *فتح الباري شرح صحيح البخاري:* أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ). ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، طبع دار المعرفة، بيروت.

[٥٠] *فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما نزل بالمدينة:* محمد بن أيوب ابن الضريس (٢٩٤هـ). تحقيق: مسفر سعيد الغامدي، دار حافظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).

[٥١] *فضائل القرآن:* الحافظ ابن كثير (٧٧٤هـ)، دار بدر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، (١٤٠١هـ).

[٥٢] *فنون الأفنان في عيون علوم القرآن:* عبدالرحمن ابن الجوزي (٥٩٧هـ). تحقيق: حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).

[٥٣] *الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي (المخطوط)، طبع:* المجمع الملكي بحوث الحضارة الإسلامية، (١٤٠٩هـ).

[٥٤] *الفهرست:* محمد بن أبي يعقوب الوراق (٤٣٨هـ). تحقيق: رضا، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٩٨٨م).

[٥٥] *القاموس المحيط:* محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٨١٧هـ). تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).

[٥٦] *كشاف اصطلاحات الفنون:* محمد بن علي بن علي التهانوي (بعد ١١٥٨هـ)، دار قهرمان للنشر والتوزيع، "استانبول"، بتصحيح: محمد وجيه، والمولوي عبدالحق، وغلام قادر، باهتمام: اسيبرنكر التيرولي، ووليم ناسوليس الارلندي، كلكته، سنة (١٨٦٢م).

[٥٧] *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:* حاجي خليفة (١٠٦٧هـ)، دار الفكر، بيروت، (١٤٠٢هـ).

[٥٨] *الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللُّغوية":* أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (١٠٩٤هـ). تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ).

[٥٩] *اللباب في تهذيب الأنساب:* عز الدين ابن الأثير (٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت.

[٦٠] *لسان العرب المحيط:* ابن منظور (٧١١هـ): إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت.

[٦١] *لسان الميزان:* أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٠هـ).

[٦٢] *مباحث في علوم القرآن:* صبحي الصالح (١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون، (٢٠٠٠م).

[٦٣] *مباحث في علوم القرآن:* مناع القطان (١٤٢٠هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية عشرة، (١٤٠٣هـ).

[٦٤] *مجلة الجامعة الإسلامية (العدد ١٠٥ -١٠٦)، بحث بعنوان:* أصول علم العربية في المدينة: عبدالرزاق بن فراج الصاعدي.

[٦٥] *مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ)، جمع وترتيب:* عبدالرحمن ابن محمد ابن قاسم وابنه محمد، إشراف: الرئاسة العامة لشئون الحرمين، تنفيذ: مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، طبع إدارة المساحة العسكرية بالقاهرة، (١٤٠٤هـ).

[٦٦] *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:* عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤٢هـ). تحقيق: المجلس العلمي بفاس، مطبعة فضالة، المغرب، (١٣٩٩هـ).

[٦٧] *المحيط في اللغة:* إسماعيل الطالقاني (٣٨٥هـ). تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٤هـ).

[٦٨] *مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة:* اختصره: محمد بن الموصلي (٧٧٤هـ)، دار الندوة الجديدة، بيروت، (١٤٠٥هـ).

[٦٩] *مختصر منهاج القاصدين:* أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي (٦٨٩هـ). علق عليه: شعيب الأرنؤوط، عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، توزيع: مؤسسة علوم القرآن، بيروت، (١٣٩٨هـ).

[٧٠] *المزهر في علوم اللغة وأنواعها:* جلال الدين السيوطي (٩١١هـ). تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وزملائه، دار إحياء الكتب العربية، (الحلبي).

[٧١] *المصاحف:* عبدالله بن أبي داوود السجستاني (٣١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، توزيع: دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).

[٧٢] مصنف *ابن أبي شيبة:* عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي (٢٣٥هـ). تحقيق: عبدالخالق الأفغاني، نشر: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي، (١٤٠٦هـ).

[٧٣] *المعارف:* عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ). تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.

[٧٤] *معاني القرآن وإعرابه:* إبراهيم بن السري الزجاج (٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ).

[٧٥] *معاني القرآن:* أبو الحسن الأخفش الأوسط (٢١٥هـ). تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ).

[٧٦] معجم *الأدباء:* ياقوت الحموي (٦٢٦هـ)، دار الفكر، الطبعة الثالثة، (١٤٠٠هـ).

[٧٧] معجم *البلدان:* ياقوت بن عبدالله الحموي (٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٧٨] معجم *المؤلفين:* عمر رضا كحالة (١٤٠٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٧٩] *المعجم الوسيط:* إبراهيم أنيس وزملائه، المكتبة الإسلامية، استانبول.

[٨٠] *معرفة القراء الكبار:* محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ). تحقيق: بشار عواد، شعيب الأرنؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ).

[٨١] *مفردات ألفاظ القرآن:* الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ). تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ).

[٨٢] *المقاييس في اللغة:* أحمد بن فارس (٣٩٥هـ). تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ).

[٨٣] *مناهل العرفان في علوم القرآن:* محمد عبدالعظيم الزرقاني (١٣٦٧هـ)، دار إحياء الكتب العربية، (البابي الحلبي)، الطبعة الثالثة.

[٨٤] *مناهل العرفان للزرقاني (دراسة وتقويم)*: خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ).

[٨٥] *منهاج القاصدين ومفيد الصادقين*: عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (٥٩٧هـ). تحقيق: كامل محمد الخراط، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٣١هـ).

[٨٦] *ميزان الاعتدال*: محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ). تحقيق: علي محمد الجاوي، توزيع: دار الباز، مكة المكرمة، طبع: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٣٨٢هـ).

[٨٧] *نثر الدرر في المحاضرات*: منصور بن الحسين الآبي (٤٢١هـ). تحقيق: خالد عبدالغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٢٤هـ).

[٨٨] *نثر الورود على مراقي السعود*: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (١٣٩٣هـ). تحقيق: محمد ولد سيدي الشنقيطي، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ).

[٨٩] *نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر*: عبدالرحمن ابن الجوزي (٥٩٧هـ). تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ).

[٩٠] *نزهة النظر شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر*: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠١هـ).

[٩١] *النقط:* عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ). تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

[٩٢] *النكت والعيون (تفسير الماوردي):* علي بن محمد الماوردي (٤٥٠هـ). تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، مكتبة المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ).

[٩٣] *النهاية في غريب الحديث والأثر:* مجد الدين بن الأثير (٦٠٦هـ). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمد محمود الزّاوي، محمد محمود الطناحي، المكتبة الإسلامية.

Fine Tune Book Manahel Irfan For Rozkana

Dr. Khalld AL-Ssabit
Assistant Professor At Department of AlQur'an Studies , University of Dmmam

(Received 7/6/1433H; accepted for publication 26/12/1433H)

Abstract. Through this research we found out that what characterized the book "The Fountains of Gratitude" to other works in this regard ,as shown in the " Qur'an Sciences", with the theme , and its usefulness,relevance,and purpose.

We also have got on the stages undergone by this science since the Prophet's era, through the era of the Rightly Guided Caliphs. And then to the first century AH, and given to the Qur'an and it's sciences worthy of serious attention from his place, and that the writing in some of the issues related to the Holy Qur'an has started since the early –In the first century AH-contrary to what is famous for many writers in this section.

Then widened the circle to write in the second century AH, and then branched out and grown in the third century AH onwards.

In the fourth century, books bearing the name of "The Qur'an Sciences", and were not contained in the content of what we are going to write about.

Then follow the scientists in authoring, writing, and I found many and varied works in the science of Qur'an, some of which is brief, and some are expanded, and some are in between.

The attention of scholars have varied in the first to put an author in this art, but it is hard to say for a given that the essential absolute in that; because we have not degenerated with all the written. And Allah knows the best.